المرأة المسلمة والطفل

دكتور/ محمد بيومى حسن

أستاذ الصحة النفسية بجامعة الزقازيق

مكتبة الإيمان

المنصورة - أمام جامعة الأزهر

ت : ٣٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع
المنصورة أمام جامعة الأزهر
تليفون: ٣٥٧٨٨٢

إهداء

إلى كل امرأة تسعى لأن تفرز للمجتمع أطفالاً

أصحاء فى نفوسهم أسوياء فى سلوكهم،

أهدى لها هذا الكتاب

المؤلف

تمهيد

بداية تطلعنا إلى المرأة المسلمة تقديرًا لعظم الدور الذى تقوم به فى الأسرة والمجتمع، ونظرنا إليها باعتبارها الأم والأخت والزوجة والابنة، وزاد اهتمامنا بها؛ لأنها تلعب دورًا خطيرًا فى المجتمع، فهى نصف المجتمع من الناحية العددية، وهى مربية أطفاله ورائدة أجياله الجديدة من ناحية أخرى، وهى الأساس الأول فى بناء البيت وهى ربته. والفلك الأسرى كله هى محوره وفى رحابه يعود الرجل ليجد راحة نفسه وسكينة قلبه ومن بين أحشائها يخرج وليدها لتتلقفه بذراعيها الحانيين، إنها قوام البيت زوجة وأمًا فلا قوام لبيت بدون امرأة.

ودور المرأة فى المجتمع من الأدوار الرئيسية التى تؤثر على نمو المجتمع وتطوره، فمن خلال أداء عملها داخل البيت وخارجه تُساهم فى تنمية المجتمع من جميع نواحيه وخاصة النواحى الاجتماعية والاقتصادية. ففى داخل البيت تلعب كل يوم أدوارًا مختلفة كزوجة تقوم برعاية زوجها وتهيئة المناخ المناسب له ليتمكن من أداء واجباته نحو مجتمعه وأسرته على أفضل وجه، وهى كأم تقوم بتربية أطفالها؛ شباب المستقبل وعدته، وتقوم كمديرة لبيتها بالعمل على التدبير فى إنفاق أموال زوجها بحسن إنفاقها.

وعلى الجانب الآخر يُمكنها أيضًا باعتبارها تمثل نصف المجتمع المساهمة فى تنمية المجتمع اقتصاديًا من خلال أداء عملها خارج البيت فى مراكز الإنتاج والخدمات، فالتنمية والتطور السريع للمجتمع يتطلب مساهمة الأيدى العاملة لكلا الجنسين.

ومن ثم فإن تطلعنا إلى وضع المرأة المعاصرة فى المجتمع يجب أن يحظى بكل اهتمام خاصة بعد أن زاد عدد المتعلمات فى كثير من التخصصات زيادة مضطردة عامًا بعد عام، ودخلت النساء سوق العمل يدفعهن الرغبة فى المشاركة فى الحياة العامة ورفع المستوى الاقتصادى وشغل وقت الفراغ وتأكيد الذات.

وتطلعنا إلى الزوجة أثناء حملها وإنجابها وهما الدوران الأساسيان للمرأة

والهدف الأول من الزواج الذى يُعزز مركزها فى بيت زوجها، وفوق ذلك فإن الاهتمام بها يمتد إلى الاهتمام بطفلها المنتظر أمل المستقبل المشرق. كما أننا تطلعنا إلى المرأة فى دور الأمومة لعظم هذا الدور فى تشكيل سلوك طفلها وإشباع حاجاته وتنمية شخصيته المتوافقة عضويًا ونفسيًا، ولإبراز مشكلات السلوك التى يُبديها الطفل فى مستقبل حياته عندما يُحرم من أمومتها الرشيدة فى طفولته.

ومن هذا المنطلق كان تطلعنا إلى المرأة المعاصرة كى نُبرز بعض أدوارها:

* كمرأة عاملة (الفصل الأول)
* كزوجة أثناء حملها (الفصل الثانى)
* كأم لأطفالها (الفصل الثالث)

والله ولى التوفيق.

د. محمد بيومى حسن

القاهرة. مدينة نصر

نوفمبر ١٩٩٦م

الفصل الأول
المرأة العاملة

* مقدمة.

* الاتجاهات حول عمل المرأة:

أولاً: الاتجاه الرافض لعمل المرأة.

أسباب رفض عمل المرأة.

ثانيًا: الاتجاه المؤيد لعمل المرأة.

- أسباب تأييد عمل المرأة.

- بعض الشروط لتأييد عمل المرأة.

*الدين وعمل المرأة.

*الخلاصة.

*المرأة العاملة والطفل.

- سلوك الانفصال اليومى بين المرأة العاملة والطفل.

مقدمة

الحقيقة أننا نسمع فى هذه الأيام فى مصر بل حتى فى أكثر البلاد تقدمًا أصواتًا تشكك فى قيمة تعليم المرأة وعملها، وترجع ما تتعرض له المرأة من هزات إلى خروجها للعمل، وأن ما يُصيب الأطفال من انحرافات ما هو إلا نتيجة لعملها خارج بيتها، كما أن ارتفاع نسبة الطلاق يُعزى إلى عمل المرأة أيضًا. ثم يدور جدل كبير حول أعمال معينة يجب ألا تقربها النساء وأعمال أخرى هى التى تتفق مع طبيعة المرأة يجب قصر نشاطها عليها.

وأدى ذلك إلى إثارة العديد من التساؤلات والتى لا يهدف بعضها إلا إلى الهجوم وتصيد الأخطاء، وبعضها يقصد به الإشفاق على المرأة باعتبارها كائن ضعيف، فى حين كان هناك بعض التساؤلات الأخرى بغرض تنبيه المرأة إلى الصعوبات التى تعترض مسيرتها بهدف الوصول إلى أحسن الطرق وأنجح الوسائل التى تعينها على تخطى العقبات حتى ينعكس هذا عليها وعلى مجتمعها بأسره[١].

هذه التساؤلات تعكس فى الواقع الآراء والاتجاهات المتناقضة والمتضاربة فى المجتمع نحو عمل المرأة.

ومهما تعددت الآراء والاتجاهات حول عمل المرأة إلا أنه يمكن بلورة هذه الآراء والاتجاهات فى اتجاهين هما:

١ ـ الاتجاه الرافض لعمل المرأة.

٢ ـ الاتجاه المؤيد لعمل المرأة.

أولا: الاتجاه الرافض لعمل المرأة:

يرى أنصار هذا الاتجاه التقليدى المحافظ أن المرأة خلقت لوظيفة واحدة وهى البيت خدمة وزوجة وأما، وتعليمها يفتح الباب لمشاكل اجتماعية ونفسية؛ لهذا كان من الأفضل أن تحتجب فى بيتها وإذا كانت هناك فرصة لتعليمها فالحد

---

(١) انظر: محمد بيومى حسن (١٩٨٧): الاتجاهات النفسية للشباب نحو عمل المرأة فى المجتمع، القاهرة، مركز النشر العلمى.

الأقصى القراءة والكتابة والحساب وفاء بشؤون بيتها وأمور دينها، فحين تكون الأسرة هى قاعدة المجتمع وتقوم هذه على أساس التخصص بين الزوجين و[illegible] رعاية الجيل الناشئ أهم وظائف الأسرة يكون هذا هو المجتمع المتحضر، ذلك أن الأسرة على هذا النحو تكون هى البيئة التى تنشأ وتنمو فيها القيم والأخلاق الإنسانية ممثلة فى الجيل الناشئ والتى ليس من الممكن بل من المستحيل أن تنشأ فى وحدة أخرى غير وحدة الأسرة.

أما عندما تصبح وظيفة المرأة خارج بيتها وتتخلى عن وظيفتها الأساسية فى رعاية الجيل وتؤثر هى أو يؤثر لها المجتمع أن تبدد طاقتها لزيادة الإنتاج المادى خارج بيتها مهملة الإنتاج الإنسانى داخل بيتها، عندئذ يكون هذا هو التخلف الحضارى بالقياس الإنسانى، أو تكون الجاهلية بالمصطلح الإسلامى.

ومعنى هذا أن تكليف المرأة بواجبات خارج بيتها ليس فقط ظلما لها، بل الحقيقة إنها ليست أهلا للقيام بواجبات الرجال، فإعداد المرأة لوظائف الرجال يتناقض مع الفطرة ولا نفع فيه للإنسانية أو للمرأة نفسها؛ لأن المرأة خلقت لأجل الولادة ولتربية أطفالها بدلالة علم الحياة. وإقحام المرأة فى مجال العمل تعريض لفطرتها للضياع وقيامها بتلك الأعمال ليس فيه ارتقاء بل هو فطنة هبوطها وسقوطها وليس فيه منفعة للتمدن بل فيه كل المضرة.

إن خروج المرأة للعمل أدى إلى الإهمال فى إدارة البيت بل أدى إلى اضطراب الأبناء وانحرافهم وإلى تأخرهم دراسيا حيث أنهم لا يلقون الرعاية الكافية، فالأم مرهقة متوترة يستحيل عليها أن تشرف أو توجه أو تتفهم أبنائها.

ومن ثم فإن المرأة فى ضوء النتائج التى انتهت إليها معطل لأسمى خصائص المرأة ووظائفها الطبيعية وأن المجتمع بدأ يجنى من ذلك انحلال الروابط وابتذال كثير من القيم.

ويمكننا أن نقدم الاتجاه الرافض لعمل المرأة والذى يتمثل فى عبارتين شائعتين هما: طبيعة المرأة وظروف المرأة؛ فطبيعة المرأة تعنى: أن تكوين المرأة البيولوجى والنفسى يمنعها من إمكانية عملها خارج بيتها. أما ظروف المرأة الاجتماعية والنفسية فتحول دون عملها خارج بيتها وتبوؤها لمراكز اجتماعية فى عملها.

كما أن البعض يطالب المرأة بالتمسك بالتقاليد المألوفة فى المجتمع الإسلامى وأساليب الحياة التى درجت عليها حتى لا يكون تغيير وضعها سببا فى الإخلال بمكانتها كربة فى بيت ومربية أجيال داخل ثقافة عربية إسلامية.

وهناك من النساء من يرفض عمل بنات جنسهن خارج بيوتهن ويرون أن المرأة العاملة ظلمت نفسها عندما أضافت إلى أدوارها كأم وزوجة ومديرة بيت دورا جديدا كامرأة عاملة خارج بيتها مما جعلها تحمل نفسها فوق طاقتها. فهى مطالبة بأداء أدوارها المتعددة أداءً تاما وتحاسب على أى تقصير فى أى منها حسابا دنيويا وأخرويا. كما ظلمت زوجها لعدم إيفائه حقوقه كاملة بل وظلمت طفلها لتقصيرها فى رضاعته ورعايته وتربيته. كما ظلمت مجتمعها لعدم حسن عطائها له وتقصيرها فى أداء أدوارها المختلفة. وفوق ذلك ظلمت دينها الذى أنصفها فقابلت إنصافها بجحود ونكران وتمرد وعصيان.

وهنا يتساءل البعض:

لماذا علمنا المرأة؟

هل علمناها لتخلع الحجاب وتختلط بالرجال؟

هل علمناها لترتكب نفس الأخطاء التى ارتكبتها أختها فى غير بلادها؟

أم علمناها لتكتب فى الصحف والمجلات وتتحدث فى الإذاعات والتليفزيون حول أمور ليس من اختصاصها ولا هى قديرة عليها ولا خبيرة بها؟

ويجيبون: إننا لم نعلمها لشىء من ذلك إطلاقًا؛ بل إننا علمناها لنحقق لها كرامتها وشخصيتها ونعطيها حقها.

وعلمناها لتتحمل مسؤولياتها بعد أن أخذت حقوقها، وعلمناها لتزداد حفاظًا على حيائها وإبائها. وعلمناها لتقوم خير قيام بوظائفها الأساسية كزوجة صالحة، ثم كأم ناجحة وكمواطنة تعمل فى محيطها الخاص وحدودها المرسومة وميادينها المعلومة.

كما واكب زيادة إقبال المرأة على التعليم ومشاركتها فى سوق العمل إن زاد اهتمام الباحثين بدراسات تجاوزت العشرات فى الوطن العربى على سعته تناولت

آراء واتجاهات شرائح متباينة من المجتمع العربى الإسلامى نحو عمل المرأة خارج بيتها بأجر، وتقوم فى نفس الوقت بأدوارها الأخرى كزوجة وكأم وكمديرة بيت.

ولقد أوضحت نتائج العديد من هذه الدراسات رفضها لعمل المرأة باعتبار أن البيت هو المكان الطبيعى للمرأة ولذلك ينبغى قصر الوظائف على الرجال حيث أدى عمل المرأة إلى إغلاق فرص التوظف والعمل أمام بعض الرجال كما أدى عملها إلى عدم تحشمها واختلاطها بالرجال.

وأوضحت بعض الدراسات أثر عمل المرأة على حياتها الأسرية حيث أن عمل المرأة يؤدى إلى إهمالها فى رعاية أبنائها وزوجها وإلى اضطراب حياتها الزوجية وإهمالها فى أداء واجباتها المنزلية وذلك نتيجة لتأثير عناء العمل عليها وابتعادها عن أفراد أسرتها لفترة من الزمن.

أسباب رفض عمل المرأة:

إذا أجملنا نتائج الدراسات التى أوضحت بجلاء رفضها لعمل المرأة خارج بيتها فإنه يتبين أن هذا الرفض يعود إلى ما يلى:

- مجتمعنا الإسلامى جعل المرأة مكرمة داخل بيتها لا خارجه.
- عمل المرأة الوحيد رعاية بيتها وتربية أولادها والاهتمام بزوجها.
- العمل يسبب للمرأة مشكلات داخل أسرتها.
- يستنفد العمل معظم طاقة المرأة وبالتالى لا تستطيع أن تقوم بأداء دورها داخل بيتها.
- عمل المرأة يؤدى إلى إهمالها لرعاية أطفالها مما يرفعها إلى الاستعانة بالخادمات الجاهلات.
- مسؤولية الإنفاق على الأسرة من واجب الزوج لا الزوجة.
- عمل المرأة يمس كرامة زوجها.
- الجانب المادى متوفر فى كل أسرة ولذلك لا داعى لعمل المرأة.
- يوفر العمل للزوجة المال الخاص مما يزيد من قوتها أمام زوجها.

ومن ثم يكون رفض عمل المرأة خارج بيتها له أسبابه المتباينة:

أسباب تتعلق بتقاليد المجتمع:

- خلق العمل للرجل ولم يخلق للمرأة.
- المكان المناسب للمرأة هو البيت بعد أن تأخذ حظها من التعليم.
- عادات وتقاليد الأسر المسلمة ترى أن تبقى المرأة فى بيتها ترعى أولادها وتهتم بزوجها ومن الصعب أن تترك بيتها لتعمل خارجه.

أسباب تتعلق بالمرأة وأولاها:

- يتطلب العمل جهدا جسميا والمرأة أضعف من أن تتحمله.
- يحتاج العمل إلى معظم وقت وطاقة المرأة وهذا يجعلها مقصرة فى أداء أدوارها داخل بيتها.
- عمل المرأة قد يخرجها عن طوع أهلها.
- عمل الزوجة يسبب مشكلات بينها وبين أبنائها.
- ربة البيت أقدر على تربية أبنائها تربية صالحة من الأم العاملة.

أسباب تتعلق بزوجها:

معارضة عمل المرأة حتى ولو وافق زوجها، لأن هذا يعتبر أنانية منه.

- عمل الزوجة يزيد من إرهاق زوجها عند رعايته لأطفاله.
- يؤثر عمل الزوجة على علاقتها الزوجية مما يؤدى بها إلى الانفصال عن زوجها.
- الزوج هو المسؤول عن الإنفاق على الأسرة وليست الزوجة.
- يستنكر الزوج أن تعمل زوجته حتى لا يقال عنه: إنه لا يستطيع الإنفاق عليها.
- راتب الزوجة قد يدفعها إلى عصيان زوجها واللامبالاة به.
- إنفاق الزوجة لراتبها فى البيت يفقد الزوج أهميته أمامها وأمام أبنائها.

أسباب اقتصادية سلبية:

- المال فى يد الزوجة يعلمها الإسراف والتبذير الذى لا مبرر له.

- عمل المرأة يزيد من عدد الشباب الذى تمتلئ بهم الطرقات ولا يجدون عملا.

ومن هذا المنطلق نتبين أن الرافضين لعمل المرأة لديهم من الأسباب ما يؤيد وجهة نظرهم فى هذا الرفض - غير أن هناك اتجاه آخر يؤيد عمل المرأة خارج بيتها.

ثانيا: الاتجاه المؤيد لعمل المرأة:

تبنى هذا الاتجاه التجديدى كثيرون من خريجى المدارس الحديثة والجامعات والبعض القليل من خريجى الأزهر الشريف. وقد تميز هؤلاء الرواد فى معظمهم بإتقانهم للغات الأجنبية بصفة عامة واللغة الفرنسية بصفة خاصة؛ حيث ساعد ذلك على امتصاصهم لكثير من تيارات الفكر الغربى.

وكان من أنصار هذا الاتجاه الحديث: قاسم أمين الذى طالب بالمساواة بين الجنسين وهجومه على الحجاب وضرورة خروج المرأة للدرس والعمل ومطالبته بالحقوق المدنية للمرأة. . ويجب ألا ننسى التأثير الواضح للشيخ محمد عبده على فكر قاسم أمين حيث كان هو المحرك الأساسى لقاسم أمين والمشجع الأكبر له للتصريح بأفكاره هذه.

كما نشطت الجمعيات النسائية وعقد المؤتمرات التى تؤكد على حقوق المرأة التعليمية بالدرجة الأولى. ثم اتسع نشاطها ليشمل سائر الحقوق المدنية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وكان من أشهر المؤتمرات النسائية المؤتمر النسائى العربى الذى عقد عام ١٩٤٤ برئاسة هدى شعراوى والذى كان من بين قراراته: مطالبة الحكومات العربية بالمساواة السياسية تدريجيا وتعيين المرأة فى نفس وظائف الرجل».

كما يرى البعض أن الأم والزوجة العاملة قد أثبتت جدارتها وأكدت مكانتها، فهى تكتسب الخبرة خلال عملها واتصالها بالناس خارج نطاق الأسرة وهى على

وعى أكبر بمشكلات مجتمعها. هذا بالإضافة إلى ما تشعر به من اطمئنان نفسى وثقة ونضج فى الشخصية كإنعاش لأمنها الاقتصادى. وهذا يؤثر بدوره على رعايتها وتوجيهها لأبنائها، فالتربية ليست مجرد تهيئة المسكن المناسب والطعام اللائق؛ بل هى أوسع من ذلك بكثير. إنها تهدف إلى تكوين الشخصية المتوافقة السوية للطفل، وهذا يتأتى بالتوجيه الناضج المبنى على الفهم الواعى السليم من أم ذات خبرات متجددة متنوعة تستطيع أن تكسب ثقة أبنائها وتقديرهم لرأيها حتى عندما يتجاوزون مراحل الطفولة.

ويرى البعض أن المرأة نصف المجتمع ونزولها للعمل أصبح حتمية تاريخية وعدم نزولها يعنى ببساطة أن نصف طاقات المجتمع معطلة حيث أن رخاء المجتمع لا يكون إلا بكثرة الأيدى العاملة، كما أن العمل يوسع آفاق ومدارك المرأة ويزيد من ثقافتها ويبرز شخصيتها، كما يزيد من عملها داخل الأسرة.

ولقد أوضحت نتائج العديد من الدراسات تأييدها لعمل المرأة المسلمة خارج بيتها، ورفض القول أن البيت هو المكان الطبيعى للمرأة بل اقترحت العديد من الدراسات أن تهتم النساء بمهن الحياكة، والتطرز، والتدريس، التوليد، الطب، التمريض، وأعمال السكرتارية، بعد ما تبين فى الكثير من الدراسات أن عمل المرأة يرتبط فى معظمه بأسباب اقتصادية تتمثل فى زيادة دخل الأسرة.

وأوضحت بعض الدراسات أثر عمل المرأة على حياتها الأسرية حيث إن عمل المرأة يجعل إحساسها بذاتها أكثر نضجًا من إحساس المرأة غير العاملة، وهذا الإحساس ينعكس بالضرورة على نمو شخصية أبنائها. وفوق ذلك فإن المرأة العاملة تربط أبنائها بالواقع العملى؛ لأنها خبرته وتعطيهم خبرتها وتشجعهم نحو الاستقلال والاعتماد على النفس وذلك نتيجة لاتصالها المباشر بالعالم الخارجى.

أسباب تأييد عمل المرأة:

إذا ما أجملنا نتائج الدراسات التى أوضحت بجلاء موافقتها وتأييدها لعمل المرأة خارج بيتها فإنه يتبين لنا أن هذه الموافقة والتأييد يعود إلى ما يلى:

لشغل وقت الفراغ:

- لقضاء وقت الفراغ لدى المرأة بما يعود عليها وعلى وطنها بالخير.

- نتيجة لتوفر الآلات الحديثة زاد وقت فراغ المرأة مما استدعى الأمر أن تعمل.

أثر العمل على المرأة نفسها:

- العمل يجعل المرأة تشعر بقيمتها فى الحياة كعضو فعال.

- العمل يساعد المرأة على تكوين صداقات بينها وبين بنات جنسها مما يزيد من مركزها الاجتماعى ويساعد على تنمية شخصيتها وشخصية أبنائها واعتمادهم على أنفسهم

*** لقيمة عملها:**

- المرأة العاملة وخاصة فى مجال التدريس أحرص على تعليم بنات وطنها من الرجل.

- إذا التزمت المرأة ببيتها وتخلت عن عملها فمن يقوم بتعليم بنات جنسها وتطبيبهن؟

- تعمل المرأة فى مجالات خاصة بالنساء ولذلك لا مجال للادعاء بأن عمل المرأة يؤدى إلى بطالة الرجال.

*** لقيمة عملها اقتصاديا:**

- لتوفير نفقات معيشتها إذا فقدت زوجها يوما ما.

- المرأة قوة منتجة لذا يلزم الاستفادة منها فى المجتمع.

- عمل المرأة يرفع من المستوى الاقتصادى لها ولأسرتها.

بعض الشروط لتأييد عمل المرأة:

إلا أن بعض الدراسات أوضحت نتائجها ربط الموافقة على عمل المرأة خارج بيتها ببعض الشروط:

*** شروط خاصة بقيم المجتمع:**

- عدم الاختلاط بالرجال.

- عدم السفور وعدم التبرج.

*** شروط خاصة بشخصية المرأة العاملة:**

- أن يحافظ عملها على أنوثتها ورقتها كى تكون مصدر حنان لأسرتها.
- أن تهتم أولا ببيتها وزوجها وأولادها.

أن تكون فى حاجة ماسة للعمل ولراتبها الشهرى.

- تعمل إذا ضمنت توفير رعاية صالحة لأبنائها فى غيبتها.

*** شروط خاصة بالعمل:**

- أن يرتبط عملها ببنات جنسها فقط.
- ألا يعرضها عملها لمشكلات داخل بيتها أو خارجه.
- ألا يكون عملها من النوع المرهق حتى تستطيع تحمله.
- ألا يكون هناك دوام لعملها فى المساء.
- أن يكون هناك حضانات قريبة لرعاية أبنائها.
- أن يؤمن لها مواصلات عند ذهابها وعودتها من عملها.
- أن تراعى ظروفها الأسرية فى العمل فيسمح لها بأجازات اضطرارية إذا مرض أحد أطفالها مثلا.

*** شروط خاصة بالزوج:**

- ألا تعمل إلا إذا استطاعت التوفيق بين عملها وواجباتها نحو زوجها.
- أن تترك عملها عندما تتزوج حتى تتفرغ لزوجها وتربية أطفالها.

وقد يكون للخلفية الثقافية والتنشئة الاجتماعية والتنميط الجنسى والاتجاهات السائدة نحو دور كل من الرجل والمرأة فى المجتمع أثر مباشر فى تباين واختلاف الآراء والاتجاهات نحو عمل المرأة خارج بيتها والذى برز فى ثلاث اتجاهات رئيسية هى:

أ - موافقة على عمل المرأة موافقة غير مشروطة إلا فى نطاق وظائف معينة.

ب ـ موافقة على عملها خارج بيتها مع التزامها بعدم الاختلاط مع الرجال وعدم السفور والالتزام بالقيم والعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع.

جـ ـ رفض عمل المرأة فى المجتمع لعدم قدرتها على القيام بالأمومة الرشيدة وعدم قدرتها على التوفيق بين دورها داخل البيت وعملها خارجه.

الدين وعمل المرأة:

إذا كان المجتمع العربى مجتمع إسلامى فإن الإسلام دين عمل وجهاد واجتهاد، ودين بذل وعطاء وقد حث على العمل وإعلاء شأنه أيا كان نوعه ما دام داخلا فى نطاق الأعمال المشروعة. فقد أمر به آيات كثيرة من ذلك قوله تعالى: **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾** (سورة التوبة آية: ١٠٥). كما بين القرآن الكريم الحكمة من خلق الإنسان فى قوله تعالى: **﴿الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾** (سورة تبارك آية: ٢) كما تكرر هذا المعنى أيضا فى قوله تعالى: **﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾** (سورة الكهف آية: ٧). كما وردت أحاديث نبوية شريفة تحث على العمل والكسب الحلال، فقد روى البخارى فى صحيحه عن المقداد بن معدى أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده»**.

كما ورد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إن أطيب ما أكلتم من كسبكم»**.

ولقد ساوى الإسلام بين الناس كل الناس فى حق العمل والكسب الحلال لا فرق بين رجل وامرأة. فلقد أباح الإسلام للمرأة أن تضطلع بالوظائف والأعمال المشروعة التى تحسن أداءها ولا تخالف طبيعتها فلم يحرم عليها أى عمل أو مهنة مشروعة وإنما قيده بما يحفظ كرامتها ويصونها من التبذل وينأى بها عما يتنافى مع الخلق الكريم؛ بل حثها على العمل ما دام هذا العمل ضروريا ومشروعا ونافعا.

فلقد حث رسول الله ﷺ المرأة بالعمل وعلل ذلك بالفائدة العائدة من عملها والخير الناتج منه؛ لذلك نجد الإسلام قد أباح للمرأة العمل فلم يمنعها منه كما لم يفرضه عليها، إنطلاقا من تعاليم الإسلام التى تقوم على تقسيم العمل وتخصيص

الوظائف، فجعل من مهام الرجل العمل والكسب للإنفاق عليها أمًا وزوجاً وبنتا وجعل مهمتها الأولى والأساسية الأمومة والزوجية فألزم الرجل بالنفقة عليها؛ لتتفرغ لوظيفتها الخطيرة فى تربية الأجيال رجال الغد وأمهات المستقبل. ويتجلى فى هذا التقسيم حكمة الخالق الذى أراد للبشرية أن يتخصص كل فى مجاله الذى أعده له. ولا شك أن هذا التخصص يعطى جودة فى الإنتاج وامتياز فى النوعية فألزم الإسلام الزوج بالنفقة لزوجته وإن كانت غنية، كما ألزم الدولة بكفالتها والنفقة عليها من بيت مال المسلمين إذا فقدت المعيل. كما جعل لها إلى جانب ذلك اقتصادًا مستقلا فلها أن تملك وتبيع وتشترى وتهب أما إذا كانت هناك ضرورة خاصة أو ضرورة اجتماعية أو مصلحة من خروجها للعمل كتمريض النساء وتطبيبهن وتوليدهن وتعليمهن وما إلى ذلك من الأمور التى تحتاج إليها النساء فى مجتمعهن فإن الإسلام يشترط لخروجها شروطاً معينة منها:

- ألا يستغرق وقتها وجهدها فيمنعها من أداء مهمتها الأساسية كأم وكزوجة ومديرة بيت.

- ألا يخرجها من خصائصها ومقتضيات مهمتها الفطرية.

- أن تؤدى عملها فى وقار وحشمة حتى تكون بعيدة عن مهاوى الفتنة وسوء الظن... والآيات والأدلة كثيرة منها آيات الحجاب والأحاديث الكثيرة التى تلزم المرأة بالابتعاد عن مواطن الفتنة من لين فى القول وتعطر عند الخروج وإظهار للزينة.

- أن تتجنب الاختلاط والخلوة بالرجال فقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا يخلون رجل وامرأة إلا ومعها ذو محرم**». ومعنى ذلك: لا يجوز أن تعمل المرأة أى عمل يعرضها للخلوة بالرجل مهما كانت الضرورة حتى ولو كان هذا الرجل رئيسها فى العمل أو زميلها. فالاختلاط منهى عنه.

ومن ثم فإن عمل المرأة لا مانع فيه مادام داخلا ضمن هذه التصورات والمفاهيم الإسلامية فقد ترك الإسلام للمرأة المجال مفتوحا للعمل حسب ظروفها وفى المجال المناسب لها كأمرأة مسلمة لا أن يكون دافعها العمل لمجرد العمل دون أى اعتبار لقيم مجتمعها الإسلامى ومعاييره السلوكية.

ومن هذا المنطلق نرى أن الإسلام لا يعارض عمل المرأة لأنه يحقق لها إشباعًا نفسيًا واجتماعيًا غير أنه وضع لها شروطًا محددة تلتزم بها أهمها عدم الاختلاط وعدم السفور.

إلا أن هناك من يعترضون على خروج المرأة من بيتها للعمل ويعتبرونه متعارضًا مع الدين الإسلامى الحنيف وتنحصر نظرتهم للمرأة فى تأدية مهام الزوجية بمفهومه الخضوعى ومهام الأمومة بمفهومها التوالدى.. إنهم يعترضون على اندفاع المرأة إلى ميدان العمل حيث أصبح دورها يتجاوز نطاق أسرتها إلى آفاق اجتماعية جديدة.

فبالرغم من خروجها إلى سوق العمل فإنها لم تستطع أن تتحرر تماما من أعباء بيتها ومطالب زوجها وحاجات طفلها ولذلك فهى تقوم بالدورين معا: دورها كزوجة ومديرة بيت وأم، ودورها كعاملة خارج بيتها لها عمل عليها أن تؤديه خير أداء. والقيام بهذين الدورين معا وفى نفس الوقت يرهقها ويوتر أعصابها ويزيد من قلقها فى رعاية أطفالها، فالزوجة التى تعود إلى بيتها وهى منهوكة القوى حيث تكون قد استنفذت جزءً كبيرا من وقتها وجهدها وعملها خارج بيتها لا يتبقى لها إلا القليل من الجهد والوقت تستطيع أن تعطيه لبيتها ولرعاية أولادها والاهتمام بزوجها وينتج عن ذلك إحساسها بمتاعب جسمية أكبر من أن تتحملها.

ومن ثم نتبين أن هناك آراء واتجاهات ترى أن خروج المرأة إلى العمل قلل من وظائفها الأسرية وأثر فى واجباتها نحو رعاية أطفالها الساعات الطوال، كما أن المرأة العاملة تعانى من صراع بين مطالب العمل من ناحية ومطالب الزوج والأولاد من ناحية أخرى.. والأمهات العاملات يظهرن قلقًا زائدًا وإحساسًا بالذنب لعدم رضاهن عن طريقة رعايتهن لأطفالهن. والحقيقة أن الخوف والقلق الذى ينتاب الأم العاملة على أطفالها ليس رفضًا لدور الأمومة ولكنه الخوف من عدم كفاءتها فى رعاية أطفالها ورغبتها فى أن تكون لهم أمًا مثالية.

كما أن المؤثرات الثقافية فى المجتمع الإسلامى جعلت الرجل ينظر إلى رعاية الأبناء وإلى العمل المنزلى على أنه من نصيب النساء وأن المرأة المسلمة يجب أن تلتزم بوظيفتى الأمومة والزوجية. وإذا كان من أهم أسس الزوجة فى الإسلام

السكن الروحى فكيف تتمكن الزوجة من توفير السكن وهى تأتى إلى بيتها متعبة مرهقة حاملة معها أثقال وهموم ومشاكل عملها. فالأم المكدودة بالعمل والمرهقة بمقتضيات العمل والمقيدة بمواعيده، ومستغرقة طاقتها فيه لا يمكن أن تهب للبيت جوه وعطره ولا يمكن أن تمنح الطفولة حقها ورعايتها.

إن دور المرأة الطبيعى فى الحياة داخل بيتها، ويتفق هذا الدور مع طبعها الأنثوى ويندمج مع تركيبها البيولوجى والعاطفى فهى مخلوقة بوضع خاص يختلف دورها عن دور الرجل فهى تقوم بالأمومة الرشيدة وتربية النشئ وإعداد الأجيال؛ ولذلك ينظر البعض إلى حق المرأة فى العمل على أن له آثاره السيئة على المرأة العاملة وعلى أمومتها وعلى علاقتها بزوجها وعلى وضعها الاقتصادى.

إنهم ينظرون إلى أن العمل قضى على أنوثة المرأة عندما تحملت ما لا تطيق من الجهد والعمل والمسؤولية داخل البيت وخارجه مما أذهب بالنضرة من وجهها والجمال من محياها.

وينظرون إلى أن العمل ترك أثرًا سيئًا على أمومة المرأة العاملة عندما حلت مربية محل الأم فاستبدلنا امرأة بامرأة فأقعدنا امرأة لا تعطى الحنان والرعاية والحب وأخرجنا امرأة تعطى الطفل كل شىء وهى الأم وغالبًا ما تسىء المربية إلى تربية الطفل وتنشئته بجهلها واختلاف ثقافتها أو حتى عدم ثقافتها مما يوقعها فى أخطاء تسىء إلى نفسية الطفل وتؤثر فى تربيته.

وينظرون إلى عمل المرأة على أنه يؤثر على أداء واجباتها نحو زوجها مما قد ينشأ عنه العديد من المشكلات والخلافات الزوجية وخاصة أنها لا تجد من الزوج أية معاونة أو مساعدة رغم إرهاقها وتعبها؛ فالنساء العاملات ما زلن يقمن بالنصيب الأعظم من الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال سواء فى أيام العمل العادية أو فى يوم العطلة الأسبوعية، كما أن إسهام الزوج فى الأعمال المنزلية وفى رعاية الأطفال ضئيل للغاية ويبدو أن الزوج الشرقى أقل تقبلا لفكرة مساعدة زوجته العاملة فى الأعمال المنزلية ورعاية شئون الأبناء فربما ينظر إليها على أنها تقلل من قيمته وتعرضه لسخرية رفاقه.

ويرفضون مساهمة الزوجة فى نفقات المعيشة مع الرجل؛ لأن هذا لا يتفق

وكبرياء الرجل الشرقى فى المجتمع الإسلامى، فالرجل مكلف بكسب الرزق والإنفاق على أسرته. ويرفضون أن عملها يضمن لأولادها رزقا إذا وجدت نفسها يوما بدون زوج يعولها؛ ذلك لأن الإسلام قد جعل لها ولأمثالها من المحتاجين حقا فى بيت مال المسلمين.

ومن ثم فإن اتجاهات البعض الرافضة لعمل المرأة تنبع من أن الإسلام يرى للمرأة مهمة طبيعية أساسية هى بيتها وزوجها وطفلها فهى كفتاة يجب أن تهيأ لمستقبلها الأسرى وهى كزوجة يجب أن تخلص لزوجها وتعمل على راحته وهى كأم يجب أن تكون الذراعين الحانيتين لأبنائها ومن ثم يلزم أن تتفرغ لهذا البيت الذى هى ربته ومديرته وملكته.

وإذا كان من الضرورى وللحاجة الملحة أن تعمل المرأة فى غير هذه المهمة الطبيعية التى حباها الله بها فإن من واجبها حينئذ أن تلتزم بما أمرت به الشريعة الإسلامية السمحاء من عدم اختلاط وعدم سفور والبعد عن لين القول حتى لا يطمع الذى فى قلبه مرض. وإذا عملت فليكن عملها مناسبا لطبيعتها البيولوجية حتى لا يؤثر تأثيرا سيئا على أمومتها وعلاقاتها الزوجية. فإذا علمت المرأة ضمن التصورات والمفاهيم الإسلامية فلا مانع من خروجها وقد ترك لها الإسلام المجال مفتوحا للعمل حسب ظروفها فى المجال المناسب لها كامرأة مسلمة لا أن تخرج للعمل لمجرد العمل دون أى اعتبار للقيم الإسلامية والمعايير السلوكية المقبولة فى المجتمع الإسلامى.

الخــــــلاصة:

يمكن القول أن اختلاف الآراء والاتجاهات نحو عمل المرأة يعود إلى اختلاف الدور الاجتماعى للمرأة عن الدور الاجتماعى للرجل والذى تكون نتيجة للخبرات التى مر بها كل فرد وتنشئته الاجتماعية والثقافية السائدة فى المجتمع وقيمه وعاداته المنبثقة من تعاليم الدين الإسلامى الحنيف.

كما يعود إلى ما طرأ على المجتمع من تنمية اقتصادية سريعة وتطور اقتصادى كبير وإقبال مضطرد على التعليم لم يغير من النظرة المحافظة للرجل نحو المرأة من حيث أن دورها الطبيعى فى الحياة هو دورها داخل بيتها مملكتها الصغيرة تهتم

بشئون زوجها وتربى أبنائها تربية إسلامية صالحة لتفرز للمجتمع أفراداً أصحاء فى نفوسهم أسوياء فى سلوكهم. بينهما اكتسبت المرأة اتجاها أكثر تحررا عندما أقبلت على التعليم ودخلت سوق العمل بدفعها تأكيد ذاتها وإثبات شخصيتها والمشاركة فى خدمة بنات جنسها وشغل وقت فراغها ورفع المستوى الاقتصادى لها ولأسرتها والمشاركة فى تنمية مجتمعها.

وعليه فإننا نرى أنه إذا خرجت المرأة إلى المجتمع كان عليه أن يساعدها على التوفيق بين دورها داخل البيت وخارجه وليكن ذلك بما يلى:ـ

١ ـ تخفيض ساعات دوامها بحيث يمكنها أن تعود إلى بيتها قبل عودة زوجها بفترة من الزمن تكفيها لأداء جميع واجباتها المنزلية وحتى لا تستهلك كل طاقتها فى عملها فيكون ذلك على حساب زوجها وأمومتها.

٢ ـ منح المرأة العاملة أجازة اضطرارية فى حالة مرض زوجها أو ابنها.

٣ ـ اجتذاب المرأة إلى الأعمال التى تتفق وطبيعتها الأنثوية وإبعادها عن الأعمال التى تخالف أنوثتها.

٤ ـ تسهيل سبل المواصلات الخاصة لجهة عملها ذهابا وإيابا.

٥ ـ محاولة توفير المربيات المدربات على القيام برعاية أطفالها فى فترة غياب الأم عن البيت.

٦ ـ الاهتمام برفع مستوى دور الحضانة والتوسع فيها لتمكن الأمهات العاملات من الاطمئنان على حسن رعاية أبنائهن أثناء عملهن خارج البيت. هذا الاهتمام بدور الحضانة ينصب على حسن الإشراف الطبى والنفسى والاجتماعى عليها حتى تصبح حضانات مشبعة لحاجات الطفولة. كذلك العمل على زيادتها وعدالة توزيعها على المناطق المختلفة وخاصة أماكن تجمع عمل الأمهات العاملات نظرا للزيادة المضطردة فى عدد الأطفال وكذلك الزيادة فى عدد الأمهات العاملات.

٧ ـ على أجهزة الإعلام أن تقدم مواد ثقافية تتناول مشكلات المرأة العاملة بطريقة توضيح وعلاج وذلك لتساعد المرأة العاملة على الاهتداء إلى الأساليب التى

تواجه بها ما تصادفه من صعوبات في أداء أدوارها.

٨ - أنسب فترات عمل المرأة ما قبل الزواج يليها فترة بعد الزواج وقبل الإنجاب يليها فترة إلتحاق جميع الأطفال بالتعليم ويجب أن يؤخذ ذلك بعين الاعتبار وتشجيع المرأة على العمل به.

وبعد فإن غاية ما نريد أن ننبه إليه هو أن هذا المجتمع الإسلامى القيت عليه مسؤولية القدوة، وما دام الإسلام يدفعنا إلى العمل فليكن عمل المرأة مقيدًا بحجابها وعدم اختلاطها بغيرها من الرجال والتمسك بأهداب دينها وبالشريعة الدينية السمحاء.

المرأة العاملة والطفل:

نتج عن عمل المرأة فى معظمه انفصال الأم عن طفلها يوميًا عندما تذهب به إلى دار الحضانة وتذهب إلى عملها لتعود بعد عدة ساعات لتأخذه إلى البيت. ولقد حاولنا تتبع وملاحظة سلوك الأم وسلوك الطفل عند انفصالهما اليومى كل صباح وسلوك كل منهما عندما يلتقيان.

سلوك الانفصال اليومى بين الأم والطفل:

يميل صغار الأطفال إلى التشبث جسميًا وانفصاليًا بأحد الكبار المحيطين بهم ويطالبونهم بحملهم أو يُتابعونهم فى مجيئهم ورواحهم، وقد يبكى الأطفال عندما يشعرون أنهم على وشك الانفصال عن الكبار حولهم وأنهم سيتركون وحدهم هذا النمط من السلوك يطلق عليه من الناحية النفسية التعلق، وهى عملية أشد تأثيراً وأقوى فاعلية وأكثر أهمية بالنسبة للنمو فى المراحل التالية حيث يتعلق الطفل بشخص يحتل لديه المكانة الأولى وهو فى الغالب الأعم «الأم»، وهو يبدأ التعلق بها فيما بين الشهرين السادس والتاسع وتزداد حدة التعلق بالأم فى الأشهر التالية من عمر الطفل. وفى هذا السن الصغيرة غالبًا ما يضطرب شعور الطفل بشدة عندما ينفصل عن أمه التى تعلق بها. ونظرًا للزيادة الكبيرة فى عدد أطفال مرحلة الحضانة فإن عملية تركهم فى دور الحضانة وانفصالهم عن أمهاتهم العاملات وتلاقيهم معهن بعد عدة ساعات أصبحت خبرة يومية. والحقيقة أن انفصال الطفل

عن أمه ولو لبعض الوقت يعتبر أمرًا مزعجًا بالنسبة إليه ذلك لأن الانفصال يسبب للطفل التوتر والقلق وعدم إشباعه لحاجاته مما يؤثر على توافقه وشخصيته وسلوكه الاجتماعى فى حياته المستقبلية، كما أن انفصال الطفل عن أمه وتركها له ولو لفترة قصيرة تكون كافية لأن يبدو عليه علامات الحزن والقلق والذى يسمى قلق الانفصال والذى يُعتبر تهديدًا لسعادة الطفل وأمنه كما أوضحت الدراسات أن انفصال الأطفال عن أمهاتهم وابتعادهم عنهن يعنى بالنسبة لهم الحرمان من إشباع الحاجات فيتولد الشعور بالمحنة والأسى، كما يشعر الأطفال بالخوف من مكان يخلو من أمهاتهن.

وعليه فإننا نرى أن الأطفال يخشون دور الحضانة ويخافون منها(*)؛ لأنها تبعدهم عن أمهاتهم الذين يرغبون فى البقاء معهن، ومن هذا المنطلق حاولنا التحقق من سلوك تعلق الأطفال بأمهاتهن عندما يتركوهن وينفصلن عنهم فى دور الحضانة بصفة يومية وكذلك سلوك الأطفال عند تلاقيهم مع أمهاتهم. فتبين لنا أن معظم الأطفال احتجوا بالبكاء وبالألفاظ على ترك أمهاتهم لهم فى دور الحضانة ليذهبن إلى أعمالهن. كما تشبث هؤلاء الأطفال بأمهاتهن وجذبهن من ملابسهن ونظروا إليهن فى استعطاف ورجاء كى لا يتركونهم بمفردهم فى دار الحضانة، وإذا ما حاولت الأم التخلص من طفلها لتذهب إلى عملها فإنه ينادى عليها بنحيب عال. وبعض الأطفال بكوا قليلاً، أو لم يبكوا على الإطلاق فقد كانوا يتكلمون مع أمهاتهم ويقبلونهن ويُعانقوهن ويطلبوا منهن سرعة العودة ويودعونهن وداعًا طيبًا.

كما أن سلوك أمهات الأطفال الباكين تميز بالالتصاق الجسمى مع أطفالهن ومعانقتهم وتقبيلهم والتحدث معهم لمحاولة منعهم من البكاء. وفى بعض الأحيان تبكى الأم مشاركة منها فى بكاء طفلها، بينما تميز سلوك بعض الأمهات بعدم الاستجابة لبكاء أطفالهن أو كانت أحاسيسهن تجاه أبنائهن غير واضحة ما بين اهتمام قليل ببكاء الطفل أو محاولة استئذانه للذهاب، وعند عدم موافقته تتسلل خارجة بعد تركه مع المشرفة أو العاملة. ولقد أكدت العديد من الدراسات أن سلوك الأمهات عند الانفصال كان يتصف بمعانقة الأم لطفلها وتقبيله ومحادثته كى

(*) انظر محمد بيومى حسن (١٩٩٣): سلوك الانفصال اليومى بين الطفل والأم فى دار الحضانة وسلوكهما عند التلاقى، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس.

يكف عن البكاء. كما أوضحت الدراسات أن سلوك أمهات الأطفال الذين لم يبكوا عند انفصالهم عن أمهاتهم كان فى معظمه عدم التصاق جسمى مع الطفل بل التحدث معه ومحاولة استئذانه لذهابها وربما إعطائه بعض التعليمات كى ينفذها الطفل أثناء غيابها عنه.

ونسوق بعض أمثلة لسلوك الانفصال بين الطفل وأمه لبعض الأطفال الباكين أو لأطفال غير باكية.

(أ) بالنسبة للأطفال الباكين:

* تحاول أم الطفلة رباب أن تتركها فى دار الحضانة فتبكى الطفلة بشدة وتبكى أمها معها، وتصرخ الطفلة: ماما .. ماما.. وتحاول الأم وهى تمسح دموعها أن تجعل طفلتها تكف عن البكاء بإعطائها بسكويت أو شوكالاتة ولكن الطفلة تستمر فى بكائها فتتركها الأم متسللة إلى خارج الحضانة بينما تناديها الطفلة ماما .. ماما.. وتتدخل العاملة أو المشرفة محاولة إسكات رباب فتكف عن البكاء بعض الوقت ولكنها تعود إليه مرة أخرى وبصورة متقطعة ثم تسكت الطفلة وتصمت ولا تتكلم مع أحد حتى تعود أمها من عملها لتأخذها.

* تبكى الطفلة نانسى بشدة عندما تأتى بها أمها إلى دار الحضانة ولا تريد أن تتركها فتجلس الأم بجوارها وتُقبلها وتحاول تهدأتها وتقول لها: أنا هارجع لك بسرعة وتعطيها شوكالاته وبسكويت، ثم تعطيها للمشرفة وتنصرف الأم مسرعة بعيدة عن طفلتها التى تستمر فى البكاء والصراخ.

* يحضر الطفل عادل مع أمه وهو يبكى، وعند محاولة أمه تقبيله كى تتركه يرفض بشدة ويقول لها: انت هتمشى وهتسبينى، فترد الأم: انت يعدوله حبيب ماما.. أنا رايحة للدكتور آخذ حقنة علشان أنا تعبانة وهجيلك بسرعة وهجيب لك معايا شوكالاتة وشبسى. فيرد الطفل وهو يبكى: طيب يا ماما روحى ومش تتأخرى علىّ.

* يمسك أحمد بيد أمه ولا يريد أن يتركها عندما تحاول التخلص منه لتذهب إلى عملها، ويبكى بكاء شديدًا ويشد ذيل فستانها ويقول لها: خدينى معاكى الشغل النهارده يا ماما وأنا هقعد ساكت.. متسبنيش هنا.. ويتعلق برقبتها. ولكن

أمه تسلمه للعاملة وتتسلل خارجة إلى عملها بينما يجلس الطفل وهو يبكى بجوار العاملة ثم يسكت بعد فترة من الوقت.

* تأتى نها إلى الحضانة مع أمها وعندما تحاول الأم تركها فى الحضانة تبكى الطفلة بشدة فتجلس الأم معها فى حجرة المديرة، وتحاول تهدأتها ومنعها من البكاء وتعطيها حلوى من حقيبتها فتسكت الطفلة، ولكن عندما تحاول الأم مغادرة الحجرة تعود الطفلة إلى البكاء مرة أخرى. وأخيرًا تترك الأم طفلتها وهى مضطرة كى لا تتأخر عن عملها وتظل الطفلة تبكى، وتحاول المشرفة منعها من البكاء، وقد تحملها المشرفة أو تنادى على العاملة لتهدئة الطفلة وقد تكف الطفلة عن البكاء وتتسلل لتجلس بعيدًا عن الأطفال الآخرين بمفردها.

* عندما تحاول أم سمير أن تتركه فى الحضانة يبكى ويقول: مش تسيبنى ياماما.. أنا بحبك يا ماما.. وتبكى الأم وهى تقول:: أنا جايه على طول يا سمسم، وهجيب لك الكورة وأرجع بسرعة.

(ب) بالنسبة للأطفال غير الباكين:

* يدخل عمرو مع أمه دار الحضانة دون بكاء وهو يمسك يدها وهى تتحدث معه وتعده بأنها لن تتأخر عليه وتوصيه بتناول السندوتشات التى معه وأن يحافظ على ملابسه نظيفة، والطفل ينظر إليه وهو يقول: حاضر يا ماما .. حاضر يا ماما .. مع السلامة يا ماما .. متتأخريش علىّ أنا رايح عند المراجيح ألعب.

* يدخل محمد الحضانة مع أمه وعندما تريد أن تتركه تقول له: مع السلامة يا ميدو ـ فيرد عليها مع السلامة يا ماما مش تتأخرى علىّ. فترد أمه: مع السلامة يا محمد يا مشمش.. عايز حاجة. فيقول لها: عايز كراتيه. فترد أمه: حاضر يا حبيبى هجيبه معايا وأنا جايه. ثم تتركه وتنصرف ويجرى الطفل ناحية المراجيح التى يحبها ليلعب مع الأطفال الآخرين.

* وتأتى نرمين إلى دار الحضانة مع أمها وتتكلم الطفلة مع أمها كلاما كثيرًا مستمرًا.. ما تتأخريش علىّ يا ماما.. هتجيبلى حاجة حلوه معاكى ياماما .. هتوحشينى يا ماما .. ويبدو أن حديثها المستمر مع أمها بفرض استبقاء أمها معها أطول مدة ممكنة.

ولقد أوضحت الملاحظات فى بعض الدراسات أساليب مختلفة لسلوك الأطفال عند التلاقى مع أمهاتهم. فالأطفال الذين بكوا عند انفصالهم عن أمهاتهم أظهروا عدم استجابة فورية لحضور الأم كالابتعاد عنها أو التحرك نحوها ببطء أو استمرارهم فى اللعب دون اكتراث بحضورها أو عرضهم لبعض لعبهم على أمهاتهم، فى حين أن بعضهم بكوا عند رؤيتهم لأمهاتهم واحتجوا عليهم بالألفاظ والكلمات لتركهم فى دار الحضانة بمفردهم.

وأوضحت الملاحظات أن سلوك الأطفال عند التلاقى مع أمهاتهم كان يتسم بالسلبية فقد اختفت ابتسامات معظم الأطفال عند إلتقائهم بأمهاتهم أما القلة من الأطفال الذين لم يبكوا عند انفصالهم عن أمهاتهم؛ فإن سلوكهم اتسم بالإيجابية عند التقائهم بأمهاتهم، فكانوا يجرون نحوهن ويقابلونهن بالابتسامات والعناق والقبلات والأحاديث المرحة. كما أوضحت الملاحظات أن سلوك الأمهات عند تلاقيهن مع أطفالهن فأمهات الأطفال الباكين تميز سلوكهن عند التلاقى بالتحرك السريع نحو الطفل والابتسام له ومعانقته وتقبيله والتحدث معه وتقبل احتجاجه اللفظى ومحاولة منعه من البكاء أو مشاركته البكاء ـ كما تبين أن سلوك أمهات الأطفال الذين لم يبكوا عند الانفصال أو بكوا قليلاً اتسم سلوكهن بمعانقة الطفل وتقبيله والتحدث معه والابتسام له والترحيب به والثناء عليه. ومعنى ذلك أن سلوك الأمهات عند التلاقى لم يختلف كثيراً بين أمهات الأطفال الباكين وبين أمهات الأطفال غير الباكين فقد اتسم سلوك الأمهات فى معظمه بتقبيل الأطفال وعناقهم والتحدث معهم والترحيب الإيجابى بهم.

ومن ثم يمكن القول أنه عند ملاحظة سلوك الأطفال أثناء ابتعادهم عن أمهاتهم وانفصالهم اليومى فى دور الحضانة وسلوك التلاقى بينهم يتبين مدى التشابه فى ردود أفعال الكثيرين منهم والذى يحكمه سلوك البكاء والصراخ والاحتجاج أو الاهتياج ومحاولة التشبث بالأم وبثيابها إلى غير ذلك من أنماط السلوك التى تعكس قلق الانفصال عن الأم ومن الطبيعى ألا يبدأ هذا القلق إلا بعد أن يبدأ تكون مفهوم دوام الشىء لدى الطفل؛ أى أن الأشخاص الذين يُغادرونه يظلون موجودين بالرغم من غيابهم عن بصره وإلا فكيف يبكى الطفل من أجل شىء يزول بزوال صورته عن عينيه؟

ولذلك فإن قلق الانفصال عن الأم لا يبدأ عن الطفل قبل بلوغ الشهر التاسع من عمره على وجه التقريب. وأثناء النهار فى دار الحضانة يتابع بعض الأطفال إعلاء النحيب وإظهار الحزن من حين إلى آخر وإن كانت حدته تقل بعد عدة أيام من التحاقهم بدور الحضانة، ولكن بالرغم من انخفاض حدته إلا أنه قد يحدث بصورة متفرقة بعد ذلك، وفى بعض الحالات قد يستمر بعض الأطفال فى البحث عن أمهاتهم ومناداتهن. وقد يبقى بعض الأطفال فى عزلة وخمول وعدم حركة وهم على وشك الانفجار فى البكاء، بينما نرى أطفالاً آخرين يميلون إلى اللعب والحركة المستمرة. إن فهمنا لسلوك انفصال الطفل عن أمه وتعلقه بها يزداد وضوحًا عندما نستعرض من وجهات النظر التالية:

١- بعض العلماء يصفون تعلق الطفل بأمه وتشبثه بها وعدم رغبته فى الانفصال عنها بارتباط ذلك بموضوع الحب أى الانتماء العاطفى، فالأم باعتبارها مصدرًا لإشباع الحاجات الأساسية للطفل تصبح موضوعًا للحب والانتماء، وتعلق الطفل بها يُعبر عن رغبته فى الحصول على الإشباع الأساسى لحاجاته.

ولقد وضح جون بولبى سلسلة سلوك الطفل عندما ينفصل عن أمه. ففى البداية يحتج الطفل بقوة ويحاول نداء أمه أو اللحاق بها والصراخ بصوت عال بغرض الحصول على رعايتها ولفت انتباهها، بعدها يبدو الطفل غارقا فى حالة من اليأس ولكنه ما زال مهتمًا بعودة أمه، وأخيرًا يفقد الطفل الاهتمام بأمه ويصبح منفصلاً عنها، وإذا كانت فترة الانفصال قصيرة نسبيًا وأعيد الطفل إلى أمه فإن تعلقه بها وانتمائه إليها سيتجدد، كما أن رغبة الطفل المتزايدة فى البقاء بالقرب من أمه تدل على علامات القلق الناتجة من انفصاله عنها. ويمكن تفسير مراحل الانفصال على أن الاحتجاج يدل على القلق من انفصاله عن أمه، واليأس يدل على حزن الطفل، وفقد الاهتمام بالأم يدل على أن الطفل يحاول حماية نفسه من قلق أكبر. ويروى بولبى أن انفصال الطفل عن الأشياء المحببة إليه وهى هنا الأم يُعتبر مصدرًا رئيسيًا لقلقه.

كما أوضح بعض العلماء أن الأم التى تحظى بقدر كبير من القدرة على التعبير عن الحب لطفلها، وكانت واضحة الاستجابة لمشاعره، ووفرت له العديد من المواقف التى تحقق له الاستثارة الاجتماعية كأدوات اللعب أو ملاعبته فإن ذلك

يساعد على تنمية التعلق الآمن لديه؛ أى أن الطفل يظهر قدرًا قليلاً من الاحتجاج اللفظى عند غيابه عن أمه، كما يُظهر فرحه وترحيبه بها عند عودتها إليه بعد انفصالها اليومى عنه. أما إذا لم تستجب الأم إلى حاجات طفلها بشكل مستقر وثابت أو كانت استجابتها له بطريقة غير مناسبة كأن تهمل مطالب طفلها أو تؤجل استجابتها لبكائه فإن ذلك يُولد علاقة غير آمنة بينهما تكون الثقة فيها غير مستقرة وتؤدى بالطفل إلى التعلق القلق حيث يعبر الطفل عند انفصاله عن أمه بالبكاء الشديد.

ومن ثم فإن تعلق الطفل بأمه يجعله يبكى عند انفصاله عنها بل ربما يكتئب بسبب غيابها عنه.

٢ ـ علماء آخرون يرون أن الطفل يصبح متعلقًا انفعاليًا بأمه لارتباطها عنده بخفض توتره؛ فالأم تكون فى البداية مثيرًا محايدًا لطفلها، ولكن بعد أن تقترن لديه عدة مرات بأحداث سارة كالتغذية وإزالة الألم فإنها تكتسب فيما بعد نتيجة لهذا الاقتران خصائص إيجابية فتصبح مرغوبة لذاتها حيث أنها تخفف آثار الألم وتسبب الرغبات السارة له.

إلا أن البعض يرون استجابة تعلق الطفل بأمه استجابة فطرية غير متعلمة فقد قاموا بدراسة نمو عملية التعلق لمجموعة من الأطفال بدءًا من الاسابيع الأولى بعد الولادة إلى الشهر الثامن عشر من العمر وكان مقياس درجة التعلق هو رد فعل الطفل فى مواقف انفصاله عن أمه حيث كان الطفل يُترك وحيدًا فى غرفة، كما أن التعلق يرتبط بسرعة استجابة الأم لبكاء طفلها وبمقدار التفاعل الذى تبادر به الأم فى حين أن مجرد وجودها معه فى مكان واحد لا علاقة له بالتعلق، وهذا يدل على فطرية تعلق الطفل بأمه فقد تبين أن ٣٩٪ من الأطفال يتعلقون أساسًا بالشخص المسؤول عن تغذية الطفل ورعايته الجسمية، كما وجد أن ٢٢٪ من الأطفال يتعلقون بأفراد لا تُسهم بأى قدر من الرعاية الجسمية للطفل. أما المحدد الرئيسى لاختيار الطفل للشخص الذى يتعلق به يتمثل فى مقدار ما يلقاه الطفل من استثارة ومن انتباه من ناحية الكبير وليس من إشباع لحاجاته البيولوجية فقط. معنى ذلك: أنه إذ وجد الطفل الشخص الذى يشبع حاجته إلى الاستثارة بالدرجة

الأولى والتى تتفق مع المستوى الأمثل له، فإن مثل هذا الشخص هو الذى يفضله الطفل عن غيره من حيث التعلق، أى أن الطفل يتعلق بهذا الشخص بدرجة أشد من غيره، ولا فرق هنا فيما إذا كان هذا الشخص هو الأم أو الأب أو مشرفه فى الحضانة أو العاملة.

٣ ـ وهناك رأى مغاير يرى أن تعلق الطفل بأمه يعود إلى حالة الارتياح الناتجة عن اقترابه إلى حد الالتصاق الجسمى مع أمه، وليس الاقتران نتيجة لحصوله على الطعام هو الذى يعمل على تقوية تعلقه بها. فالطفل يميل بشكل أولى إلى أن يكون قريبًا بدرجة ما من أفراد مجتمعه، وأن تعلقه ببعض هؤلاء الأفراد ليس نتيجة لعملية تعلم ولكن لأن حاجته إلى الدفء العاطفى المتمثل فى الالتصاق والتلامس الجسمى والاستثارة وانتباه أفراد مجتمعه له لا تقل أهمية بالنسبة إليه عن حاجاته البيولوجية من طعام وشراب وإخراج وغيرها. والشخص الذى يستطيع أن يشبع حاجات الطفل المرتبطة بالتعلق بأن يحتضنه، ويلاعبه، ويحادثه، ويبتسم له، ويستثير انتباهه هو الذى يكسب تعلقه به أكثر من الفرد الذى يهتم به فقط ليغذيه وينظفه ويشبع له حاجاته البيولوجية ثم بعد ذلك يضعه بين ألعابه أو يجلس معه كمراقب وليس كمشارك.

وإن كنا نؤكد هذا الرأى إلا أننا نضيف إليه بُعدًا جديدًا يتمثل فى المدة التى تقضيها الأم بعيدة عن طفلها هذا البعد الذى يوضح سلوك انفصال الطفل عن أمه وتعلقه بها. فكلما كانت مدة الانفصال قصيرة كلما استعاد الطفل علاقات المحبة مع أمه عند عودتها إليه فيركض أحدهما تجاه الآخر ويتشبثان ببعضهما بحنو لا حدود له وتبدو علامات السعادة والسرور عليهما معًا ويتم ذلك فى هدوء وسلام. أما إذا طالت مدة انفصال الأم عن طفلها لعدة ساعات فقد يُظهر الطفل قلة اهتمامه بالتعلق بالأم وعندما تعود إليه فلا يرحب بها وكأنه لا يعرفها وقد يُدير ظهره لها مبتعدًا عنها وأحيانًا يجهش بالبكاء، وفى بعض الأحيان قد يتردد بين البكاء وعدم الاكتراث. وهناك فروق فى شدة تعلق الأطفال بأمهاتهم وقلقهم عند الانفصال عنهن وقد تعتمد هذه الفروق على عاملين أولهما الخصائص التكوينية للطفل، فالأطفال عندما يولدون تكون لديهم حاجة أولية فى أن يكونوا قريبين من

آخرين، وهذه الحاجة ليست لها شكل واحد محدد يفضله الطفل عن غيره بل تظهر فى عدة أشكال تختلف من طفل إلى آخر. فلقد أوضحت إحدى الدراسات أن الأطفال يختلفون فيما بينهم فى درجة ارتباطهم مع أمهاتهم وبالتالى يختلفون فى ردود أفعالهم عندما تعود إليهم أمهاتهم بعد غياب لمدة قصيرة. فقد وُجد أن الأطفال يستجيبون لهذا الموقف بطرق مختلفة، فغالبية الأطفال يرغبون فى أن يكونوا قريبين من أمهاتهم، وفُسرت هذه الاستجابة بأنها دليل على وجود تعلق آمن مع الأم. وقد أظهرت فئة ثانية من الأطفال التناقض فى تعلقها بالأم حيث كان أفرادها يسعون إلى الاقتراب من الأم وفى نفس الوقت كانوا يقاومون ذلك. أما الفئة الأخيرة فكانت إما أنها لم تسع إلى الاقتراب من أمهاتها عند عودتها، وأما إنها إذا اقتربت منها الأمهات تحول بصرها عنها، ولقد اتضح أن أمهات هؤلاء الأطفال فى هذه الفئة لم يكن يحببن أن يتلامسن جسميًا مع أطفالهن أو على الأقل كن لا يكترثن لذلك.

كما أن الفروق الفردية الخاصة بشدة تعلق الأطفال بأمهاتهم تعتمد على عامل آخر يتمثل فى نشأة الطفل وتوفر الرعاية من أكثر من حاضن له به ألفة حيث يكون مثل هذا الطفل مستعدًا لإقامة علاقة حب وتعلق مع هؤلاء جميعًا، وفى هذه الحالات يكون الطفل محصنًا ضد فصم العلاقات العاطفية الآمنة مع الأم بالرغم من تكرار تركها إياه كل يوم لبعض الوقت. وفى المجتمعات العربية ينشأ الأطفال عادة فى عائلة كبيرة ممتدة التى تتكون من الجد والجدة والأبناء المتزوجين وأطفالهم فنجد الطفل يكوّن علاقات عاطفية ليس فقط مع الآباء ولكن أيضًا مع الأجداد والأعمام والخالات ولذلك فإن انفصال الطفل اليومى عن أمه عندما تخرج إلى عملها يكون بالنسبة لمثل هذا الطفل انفصالاً آمنًا لا يشعر به طفل تركته أمه مع غرباء فى دار الحضانة ولذلك يرحب بها عند عودتها إليه ترحيبًا إيجابيًا.

ومن هذا المنطلق يتضح أن سلوك الأطفال عند انفصالهم اليومى عن أمهاتهم العاملات وعند التلاقى معهن يعود إلى أن الأطفال يشبعون حاجاتهم إلى الحب والأمن عن طريق الأم التى تشعر أن حاجة طفلها إلى الحب لا تقل أهمية عن حاجته إلى الطعام والشراب لاضطراد نموه العضوى والنفسى، ولذلك نجد أن

انفصاله لعدة ساعات تكون كافية لأن تجعل الطفل يشعر بفقد الحب والأمن وبعدم الاستقرار والخوف والقلق كما أن الأمومة علاقة إنسانية راقية ومعقدة تُغير من سلوك كل من الطفل وأمه وتوفر للصغير أكثر من مجرد عدد من الساعات التى تقضيها الأم مع طفلها، وإنما هى علاقة سامية يتمتع فيها كل منهما بصحبة الآخر، والحقيقة أنه لا توجد علاقة إنسانية أخرى يضع فيها الفرد نفسه تحت تصرف الآخر بمثل هذا الإخلاص والاستمرارية إلا هذه العلاقة الراقية بين الأم وطفلها.

ومن هنا نرى أن العلاقة بين الأم والطفل علاقة حب وود وإخلاص مستمر يشعر خلالها الطفل بالرضا والسعادة عندما يكون فى كنف أمه، ويشعر بأنه موضع حبها ومبعث كبريائها، وكل حرمان من هذه العلاقة قد تكون لها آثار ضارة غير مستحبة خلال سنى حياة الطفل ولقد اتفق علماء النفس والأطباء النفسيون جميعًا على اختلاف مدارسهم وآرائهم على تأكيد النتائج البالغة الضرر التى تُلحق بالأطفال حين ينفصلون عن أمهاتهم ولو لفترة قصيرة خلال السنين الأولى من حياتهم فمن المستحيل أن يُدرك طفل فى الثالثة أن انفصاله عن أمه فى دار الحضانة انفصال مؤقت إذ أنه لا يشعر على الإطلاق بالزمن ومدته، وكل ما يعرفه أنه انفصل عن أمه الشخص الوحيد فى العالم الذى يمثل فى نظره الأمن والرضا الانفعالى. فالطفل الذى يحظى بقبلة المساء من الأم والجلوس على ركبتيها وهى تقُص عليه قصصًا شيقة يكون أشد اقتناعًا بأنه يستطيع أن يعتمد على أمه فى جميع الأوقات، وهو بغير هذا الضمان لا يستطيع أن يعيش سعيدًا.

وما نحاول إبرازه هنا هو أن سلوك الطفل يتغير بشكل أساسى عند انفصاله عن أمه فيظهر عليهم الضيق والخوف والقلق، وقد يستمر فى البحث عنها إذا شعر أنها تسللت وتركته فى دار الحضانة ويقترب من باب الحجرة التى يوجد بها انتظارًا لعودتها والدموع فى عينيه والحسرة تملأ قلبه.

ولذلك نقدم بعض التوصيات التى قد تساعد فى تقليل وطأة وألم انفصال الطفل عن أمه فى دار الحضانة النهارية:

* فليس بسبب الغياب اليومى للأم عن طفلها وانفصالها عنه أن تبحث له عن

مكان آمن نظيف بعيدًا عن الأخطار كى يجد فيه الحراسة والإيواء ويقضى فيه نهاره يوما بعد يوم وسنة بعد أخرى؛ بل إنه من الأهمية بمكان أن تسعى الأم إلى أن تبحث عن الرعاية الشاملة لطفلها والتربية المتكاملة لصغيرها داخل دار حضانة تقوم بالإسهام فى عملية نموه الاجتماعى والنفسى وإعداده كى يصبح على درجة من الثقة بنفسه تمكّنه من التعامل السليم مع أفراد مجتمعه بما تهيئه للطفل من مناخ مادى ونفسى يتناسب من طبيعة الطفل فى مرحلة الحضانة ويُسهم فى إحداث نموه المضطرد فى مختلف جوانب شخصيته. ومن هذا المنطلق كان من الأهمية بمكان وجود حضانة تشبع الحاجات الأساسية لنمو الطفل فى سن حياته الأولى وأثناء انفصاله اليومى عن الأم العاملة كى نضمن له نموًا سليمًا صحيحًا جسميًا ونفسيًا وعقليًا؛ لأهمية هذه الحاجات وتداخلها بعضها مع بعض وتآزرها الدائم لبناء حياة الطفل بناءً سليمًا، كما أن عدم إشباع الطفل لحاجاته يجعله يشعر بالقلق وعدم الطمأنينة فى غياب أمه فيها يزدهر ويتقدم وبدونها يذبل ويتقهقر.

* كما أن وجود مشرفة تربوية تستطيع القيام بدور الأم البديلة وتأخذ على عاتقها رعاية الطفل والاهتمام به وبشئونه فى غياب أمه، وعمل علاقة من المودة والمحبة معه يُقلل مما يعانيه الطفل نتيجة لانفصاله عن أمه أثناء غيابها عنه فى عملها.

والحقيقة أن غياب الأم يدفع الطفل إلى البحث عن أم بديلة، وغالبًا ما تكون مشرفة الحضانة التى يمكنها أن تقوم مقام الأم، ولذلك يسعى الطفل إلى اكتساب اهتمامها والتقرب إليها. إلا أنه سرعان ما يدرك أن اهتمامها ليس به وحده ،لكن بأطفال الحضانة كلهم وهم كثيرون وهذا ما لم يعتد عليه فى بيته. ولكن إذا كانت المشرفة عطوفة وتقوم بدورها كأم بديلة كما ينبغى. فإنها تساعد الطفل على تكوين علاقات سليمة مع زملائه وتشجيعه على اللعب معهم واكتساب الأصدقاء من بينهم فيتعلم الطفل الأخذ والعطاء والتوافق مع الآخرين فينمو اجتماعيًا وتبرز شخصيته. وهذا لا يحدث إلا إذا كانت المشرفة مُعدة إعدادًا علميًا وتربويًا للقيام بدورها الهام فى دار الحضانة ويمكن أن يتم ذلك عن طريق إكسابها المعارف الضرورية للتعامل مع الطفل، وإكسابها المستوى العالى من التأهيل والإعداد والخبرة والثقافة والفهم الصحيح للأطفال وأساليب رعايتهم رعاية صالحة، وإيجاد

الجو الودى الدافئ الذى يجعل الطفل يشعر بأن دار الحضانة بيته ومن حوله أسرته وأن هناك من يحبه ويُرحب بمجيئه.

* كما أن القول بضرورة إلحاق الطفل بدار حضانة فى وقت مبكر ليساعد ذلك على نمو شخصيته ونضجه واستقلاليته بصورة مبكرة، هذا القول أدى إلى رد فعل ضار بالطفل لحرمانه من العلاقة الحميمة والمستقرة الدائمة والتى لا تنفصم بينه وبين أمه. ولذلك كان من الضرورى ارتباط الطفل بأمه وتمتعه بعلاقات حميمة وراقية وثابتة معها، علاقة تمكنهما من العيش معًا فى سعادة ورضا مما يساعد على تفتح شخصية الطفل فى عالم من الثقة والطمأنينة والأمن.

* على المربيين أن يُولوا اهتمامًا بالغًا بسلوك الطفل عندما ينفصل يوميًا عن أمه، وما يتركه ذلك من آثار سيئة على نمو شخصيته، ومن اضطراب عاطفى لديه، وعدم قدرته على إقامة علاقات عاطفية عميقة ودائمة مع أمه. كما أن عليهم من خلال البحث والاستقصاء تحديد الفترة المناسبة التى يُمكن للأم أن تلتحق بعملها بعد الولادة تاركة طفلها فى دار الحضانة.

* وأخيرًا نريد أن نبرز هنا أن للمرأة مهمة طبيعية أساسية هى زوجها وطفلها وبيتها، فهى كزوجة عليها أن تخلص لزوجها وتعمل على راحته، وهى كأم عليها أن تكون الذراعين الحانيتين لطفلها، ومن ثم يلزم أن تتفرغ لهذا البيت الذى هى ربته ومديرته وملكته لتقوم بتربية طفلها تربية صالحة فى سن حياته الأولى لأنها بالنسبة إليه الوعاء.. والسقاء .. والرعاء.

الفصل الثانى

المرأة والحمـــــل

(*) مقدمة.

(*) الحمل الأول.

- العوامل المسببة لقلق الحمل:

أولاً: عوامل مرتبطة بالماضى.

ثانيًا: عوامل مرتبطة بفترات الحمل:

أ- الأعراض الجسمية.

ب - التوافق بين الزوجين.

جـ - الخوف من عملية الولادة.

د - عمر الحامل.

(*) تفسير الحالة النفسية للزوجة أثناء الحمل:

أهم مسببات القلق لدى الزوجة الحامل:

أ- مسؤولية رعاية الطفل.

ب - الخوف من عيوب فى المولود.

جـ - الخوف من عملية الولادة.

(*) توصيات للزوجة الحامل:

أولاً: الرعاية قبل الزواج.

ثانيا : الرعاية أثناء الحمل.

(*) دور الدولة فى رعاية الحامل.



مقدمة

يُعتبر الحمل أحد الوظائف البيولوجية المميزة للمرأة عن الرجل والتى لولاها ما كانت عمارة الكون ذلك لأن الحمل والإنجاب يُعتبران الدوران الأساسيان للمرأة والهدف الأول من الزواج ومن الزوجة يكون الإثمار والإعمار. كما أن أهم ما يعزز مركز المرأة فى بيت زوجها بعد أن تختار وفقًا للقيم الاجتماعية التى اصطلح عليها المجتمع إنجابها للأبناء البنين منهم والبنات، ولذلك فهم يدعون للعروس ليلة زفافها بقولهم: ربنا يجعلك شجرة تطرح وتملا المطرح. فكما أن الشجرة تتوقف أهميتها على ما تقدمه من ثمر طيب كذلك تتوقف قيمة الزوجة على قدرتها على الحمل والإنجاب.

ومن هذا المنطلق كان اهتمام الكثير من الباحثين بالمرأة وبحملها كأمر ضرورى، ولأن الاهتمام بها يمتد إلى الاهتمام بطفلها المنتظر أمل المستقبل وإشراقة الغد المبهج. ونظر الباحثون إلى مرحلة الحمل فى حياة المرأة باعتبارها مرحلة حرجة نظرًا لاحتوائها على العديد من المتاعب النفسية والجسمية والاجتماعية التى تتعرض لها الزوجة أثناء فترات الحمل كما أن لها أهميتها فى النمو والتطور النفسى للمرأة(*).

والحمل يجد فيه بعض النساء اطمئنانا لحياتهن الزوجية وحماية لهن من الخوف والعزلة والملل فى حياتهن والخوف من التشكك حول كفاءتهن كإناث أو حول رجولة أزواجهن.

كما يجدن فى الحمل إحساسا بالأهمية أمام أزواجهن وكل المحيطين بهن، وهذه الأحاسيسُ تُسعد الزوجة وترضيها وتعمل على زيادة مفهوم الذات لديها، وتجعل من طلباتها رغبات يجب على الزوج الاستجابة الفورية لها. ولقد لوحظ أن بعض الزوجات يتلقين خلال حملهن الأول قدرا من الحنان والتدليل من الأزواج أكبر من القدر الذى يتلقينه فى مرات حمل تالية.

(*) انظر: محمد بيومى حسن: (١٩٨٣): القلق لدى الزوجة الحامل للمرة الأولى وعلاقته بصحتها النفسية، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الزقازيق.

وحديثنا عن العمل يقودنا إلى الحديث عن الحمل الأول.

الحمل الأول:

الحمل الأول أهم حدث اجتماعى بيولوجى فى حياة الزوجة يكون مصحوبا بإعادة فهم صورتها عن نفسها وعلاقتها بالآخرين القريبين منها، وهو فترة نضج وتقدم فى الحياة الشخصية العائلية للزوجين عندما يتحولان إلى والدين ويتحول الزواج إلى أسرة، كما أنه يضع نهاية للزوجة كوحدة مستقلة وبداية لعلاقتها التى لن تنتهى بينها وبين طفلها القادم وقبولها ورضاها لما قد يسمى بصورة شريكها الجنسى.

كما أنه تجربة جديدة تحتاج فيها الزوجة الحامل إلى عون ومساعدة إضافية من البيئة للقيام بدورها الجديد نحو الأمومة والذى لم تعتد عليه من قبل. وهنا تظهر الأهمية الكبرى والقيمة الفائقة للتأييد والعون الذى تلعبه الأم الحقيقية للمرأة الحامل، وعندما لا توجد الأم الحقيقية فإن دورها فى المساعدة يقع على عاتق الزوج وذلك بجانب وظيفته الأساسية كحام للأسرة. كما أن بعض الأشخاص المحيطين بها قد يستطيعون إعطاء عونهم الكامل لها سواء أكانوا داخل نطاق العائلة أم خارجها.

والحمل الأول أهم حدث بيولوجى فى حياة المرأة؛ لأنه يأتى بإحساسات لم تعرفها من قبل فهى مشتاقة لإغفاءة نوم بعد ظهر كل يوم، وتشعر بتقلبات المعدة كعملية شبه يومية، كما أن الإحساسات العميقة والحيوية والشعور بوخز أليم فى الثديين قد يذكرها بالإحساسات السابقة للحيض. ومع تقدم حملها تشعر بحركات الجنين التى لا يشبهها شىء والتى قد تصفها فى البداية على أنها كخفقات قلب. ولذلك فإن الحامل للمرة الأولى تحول انتباهها إلى داخلها حيث تفكر فيما تشعر به وفيما يحدث لجسمها.

ولقد اتفقت آراء كثيرة على أن الحمل يكون مصحوبا بالقلق كعامل أساسى، وهذا الاتفاق دُعم بدرجة كبيرة من العديد من أخصائى أمراض النساء والباحثين.

وهناك عوامل يرجع إليها قلق الحمل يرتبط بعضها بالماضى والبعض الآخر

يرتبط بفترات الحمل. فالعوامل المرتبطة بالماضى هى: خبرات الماضى والاتجاه نحو الحمل... أما العوامل المرتبطة بفترات الحمل فهى: الأعراض الجسمية، التوافق بين الزوجين، الخوف من عملية الولادة وأخيرا عمر الحامل.

*****

العوامل المسببة لقلق الحمل

أولا: عوامل مرتبطة بالماضى:

(أ) خبرات الماضى:

من المعروف أن فترة الطفولة وفترة المراهقة تتفتح فيهما النفوس بفضول للاستماع إلى الأقاصيص المفزعة التى كثيرا ما تنشرها السيدات كبيرات السن حول موضوع الحمل والولادة. فالبنات الصغيرات يعلمن مقدمًا مايتوقعنه سلفا عندما يتطلعن إلى الأمام ويتصورون أنهن كبيرات يمتلكن أطفالا خاصة بهن وتضرب أمهاتهن مثلاً لهن عندما يشاهد البنات أمهاتهن يحملن أخواتهن وأخوتهن.

وإذا أخبرت الأمهات أطفالهن أن الحمل والولادة عمليات بسيطة وطبيعية وجميلة وفى نفس الوقت يسمع الأطفال أمهاتهن يتبادلن الأحاديث والقصص مع صديقاتهن تُصور الحمل والولادة على أنها عمليات فزع ورعب بل ألم وعذاب، فإن الأطفال وبلا تردد لا يقتنعون بما سمعوه من قبل عن بساطة الحمل والولادة. كما أن الأطفال قد يعطون بعضهم البعض معلومات قد تكون مخالفة للواقع عن الحمل والولادة. فقد يقرأ الأطفال أخبارًا أو يرون أفلامًا أو برامج تليفزيونية تعطيهم اتجاهاتهم نحو الحمل والولادة وتظل هذه الاتجاهات معهم فى نظرتهم المستقبلية نحو عملية الحمل والولادة.

وتظل خبرات الماضى مكبوتة فى اللاشعور حتى تخرج إلى الواقعية والشعور عند الحمل فتؤثر على استجابات المرأة نحو حملها وتؤثر فى مستوى قلقها ومخاوفها نحو حملها وولادتها. ولقد أكدت إحدى دراسات أن بعض النساء أثناء حملهن الأول سجلن مخاوفهن من أحاديث الأمهات الحوامل وكبيرات السن التى سمعتها فى الماضى عن متاعب الحمل والولادة، ومن فقد الطفل أو ولادته مشوها.

ب) الاتجاه نحو الحمل:

ينظر البعض إلى الحمل على أنه عملية تمثل جزءا من النمو الطبيعى الكامل للمرأة، بينما ينظر البعض الآخر إلى الحمل على أنه فترة قاسية ومرحلة طبيعية لصحة المرأة الجسمية والنفسية، وتعود إلى حالتها الطبيعية بعد الولادة. ودليلهم على هذا الرأى زيادة العصبية عند النساء الحوامل.

وقد يعود الاختلاف فى الاتجاه نحو الحمل لدى النساء نتيجة لاختلاف ثقافتهن وبيئتهن وأساليب تربيتهن وخبراتهن الماضية. فالحامل التى تتطلع إلى الإنجاب وترى فى نفسها الاستعداد لتحمل دور الأمومة تكون سعيدة بحملها وأقرب ما تكون إلى الأم المثالية وتعنى الأمومة بالنسبة لها اكتمالا لأنوثتها وعدم دونيتها عن غيرها من النساء، وفى نفس الوقت من أهم ما تحتاجه لتحصل على تقديرها لذاتها وتقوية روابط الزوجية.

فالحامل التى تتوقع أمومة سعيدة وهى فى نفس الوقت شخصية متوافقة ذات اتجاهات إيجابية نحو نفسها ونحو حملها ونحو الآخرين فإن حملها يمر بهدوء وسلام طوال الوقت وتشعر بالراحة النفسية إلى حد كبير. أما الحامل التى لديها صعوبة فى رضاها عن نفسها كأنثى أو أحاسيسها كامرأة وتشعر أن الحمل أفقدها مظهرها فإن اتجاهها نحو حملها يكون سلبيا وتزداد متاعبها وضيقها من حملها، مما يزيد من قلقها ويجعلها فى صحة نفسية سيئة.

كما تبين أن الأمهات اللائى كان لديهن اتجاهات مؤيدة للحمل كان لديهن توافق مرتفع ومستوى قلق منخفض، بينما الأمهات اللائى لديهن اتجاهات رافضة للحمل فقد كان لديهن توافق منخفض ومستوى قلق مرتفع.

كما أن النساء اللائى كان لديهن اتجاه «إيجابى» نحو الحمل يكن متوافقات توافقا حسنا مع أزواجهن سواء من الناحية الاجتماعية أو من الناحية الجنسية، ويشعرن بالرضا والطمأنينة فى حياتهن الزوجية، كما يرحبن بدور الأمومة مع شعورهن بالثقة والسعادة المسبقة من ذلك يبدو أن خوف الزوجة واتجاهها نحو عمليتى الحمل والولادة تكون كامنة منذ وقت مبكر من حياتها حتى من قبل أن تكوّن مفهوما عن نفسها.

وسوف تظل فترة الحمل مرتبطة بالخبرات التى مرت بها فى طفولتها وبالاتجاهات التى اكتسبتها نتيجة لما سمعته من أقاصيص مفزعة وما ارتبط بذكريات الحمل والوضع لدى أمها. كما يرتبط كل ما هو على صلة بالحمل من ولادة ورضاعة ورعاية للطفل بخبرات الماضى.

ثانيًا: عوامل مرتبطة بفترات الحمل:

أظهرت بعض الدراسات أن هناك صعوبات ترتبط بفترات الحمل الأول تتمثل فى العوامل التالية:

- كبر حجم البطن.
- مشاعر سلبية نحو أول الحمل.
- مشاعر سلبية عند الشهر السابع من الحمل.
- مشاعر سلبية حول تغير صورة الجسم.
- مشاعر صحية عند الشهر الأخير من الحمل.
- توتر وقلق شديدين.

ومن ثم فإن الحمل يصحبه الكثير من العوامل التى تسبب القلق والتوتر والتى يمكن إيضاحها فيما يلى:

أ) الأعراض الجسمية:

معظم الأبحاث تشير إلى أن الحوامل وحتى الراغبات فى الحمل يشعرن بالصداع عندما يُصبحن بالفعل حوامل. وقد تأكد أن هذا الشعور ينجم عن عوامل معقدة تظهر فى شكل تقلب فى المزاج، دوخة، قىء، زيادة مستوى القلق، نوم مضطرب ونهاية للنشاط والحيوية.

فعادة ما يصاحب الحمل أعراض جسمية يوجد بينها وبين قلق الحمل علاقة هامة. وبالرغم من أن الحمل عملية فسيولوجية إلا أنه من الملاحظ لدى بعض الحوامل أنهن يعانين من تغير عميق فى اتزانهن الانفعالى مما يؤدى إلى اضطرابات

انفعالية تظهر فى صورة شعور بالقلق.

ومن أكثر الأعراض الجسمية شيوعاً أثناء الحمل:

١) اضطراب الشهية:

أكدت إحدى الدراسات أن هناك علاقة قوية بين اضطرابات الشهية والتى تتمثل فى قىء وغثيان وبين ارتفاع مستوى القلق أثناء الحمل فقد أكد ٩٠٪ من الحوامل شكوهن من قىء وغثيان مستمرين خلال فترة الحمل بالإضافة إلى ضعف الشهية بوجه عام والإحجام عن الطعام لأنهن كن يتقيأن ما يأكلنه فى كل مرة وذلك لأن أهم مظاهر القلق قبل الولادة مرتبطة بقىء الحمل الذى يرجع إلى التغيرات الفسيولوجية الهائلة أثناء الحمل أو إلى العامل العصبى باعتبار الحمل يمثل فترة حرجة فى حياة المرأة الشابة.

وتدل الأبحاث الحديثة على أن واحدة من كل اثنتين من السيدات الحوامل تُصاب بدوخة خلال الحمل وتكون مصحوبة بقىء. والدوخة نموذج من نماذج - الاضطرابات الهادئة التى تصيب الحامل فى الصباح ولكنها تختفى خلال النهار، ولذلك تُسمى «مرض الصباح»، ويحدث هذا لحوالى ٧٥٪ من الحوامل فى الشهور الأولى من الحمل.

٢) اضطراب النوم:

أوضحت نتائج الدراسات أن ٦٠٪ من الحوامل للمرة الأولى قد خبرن اضطرابات فى النوم أثناء الحمل وخاصة فى الشهور الأخيرة من الحمل. ولقد أوضحن أن ذلك يعزى إلى:

* عدم الراحة فى الفترة الأخيرة من الحمل بسبب كبر البطن.
* زيادة عدد مرات التبول.
* صعوبة التنفس.
* بسبب بعض الأعراض الجسمية التى ترتبط بالحمل مثل القىء والمغص

الشديدين. وفى الفترة الأولى من الحمل - تنام الحامل خلال فترات طويلة وتأخذ تعسيلات أثناء النهار. أما فى الفترة الثانية فإن النوم يعود إلى طبيعته كنوم أى شخص عادى. بينما فى الفترة الأخيرة من الحمل يقل النوم ويزداد عدد مرات الاستيقاظ بسبب زيادة الرغبة فى التبول، كما أن ضربات الجنين تكون ثقيلة بل وفى بعض الأحيان مؤلمة مما يسبب فى إيقاظ الحامل من نومها، فتحرم الحامل من النوم العميق حيث يصبح النوم متقطعًا قصير الأمد، وهذا يؤدى إلى إرهاقها وإجهادها وقلقها، كما أن اضطرابات النوم فى حالة الحمل الطبيعى تكون شديدة وتؤثر بشكل واضح فى التوافق النفسى والبيولوجى للحامل مما يؤدى إلى توترها وقلها.

٣) التغير فى صورة الجسم:

فى الشهور الأولى من الحمل يرتفع مستوى هرمون البروجستين مما يؤدى إلى توعك طبيعى فى الصحة وتغير فى صورة الجسم. فلقد تبين أنه من بين الأعراض الجسمية للحمل التغير فى صورة الجسم نتيجة لانتفاخ البطن وثقل الجسم، وقد يجعل ذلك الحامل تشعر بضخامتها وقبحها. وقد يسهل على بعض النساء تحمل ثقل الحمل، بينما يبدو ذلك صعبًا بالنسبة لنساء أخريات؛ ذلك لأن ثقل ما بين عشرين إلى خمسة وعشرين رطلا إضافيا يتطلب المزيد من بذل الجهد لكل أجزاء الجسم.

كما أن التغيرات الفسيولوجية العضوية التى تحدث لجسم الحامل ينتج عنها انفعالات مثل الخوف والقلق، وأن أى تغير ولو بسيط فى التكوين الجسمى لدى بعض النساء أثناء الحمل يسبب لهن الشعور بالقلق ومن ثم فإن هذا التغير فى صورة الجسم يجعل الحامل أكثر ضجرا من الحمل وأكثر قلقا.

كما تبين أن الزوجة الحامل للمرة الأولى تميل إلى التركيز على التغيرات التى طرأت على جسمها فنجدها تقلق على الصورة التى أصبح عليها جسمها. فالزوجة التى تشعر أن الحمل أفقدها جاذبيتها ومظهرها ربما تكون قلقة لما يفعله الحمل بشكلها وجسمها، وتنظر إلى عدم رشاقتها وزيادة وزنها كشىء مروع مقلق. بينما الزوجة الأكثر إيجابية فى مشاعرها نحو نفسها ونحو جسمها خلال

حملها تبدو أقل قلقًا بل ربما تكون فخورة بالمظهر المرئى لجسمها وبالتغيرات التى تحدث له أثناء انتظارها لطفلها المرتقب.

وقد دُعم هذا الرأى إحدى الدراسات التى أوضحت أن معظم الحوامل للمرة الأولى أظهرت علاقة عكسية بين رضاهن بصورة الجسم أثناء الحمل ومستوى قلقهن، ومن ثم فإن الحوامل الأكثر اقتناعا بصورة الجسم أثناء الحمل يظهرن مستوى أقل للقلق.

ب) التوافق بين الزوجين:

الزوج والزوجة هما عنصرا التفاعل فى الحياة الزوجية، وللعلاقة بينهما أثناء الحمل أثرها الإيجابى أو السلبى على توافق الزوجة وبالتالى على صحتها النفسية مما يقلل من مستوى القلق لديها. فكلاهما يبدأ حياته الزوجية وله دوافعه واتجاهاته تعلمها خلال تجاربه وخبراته السابقة أثناء تربيته.

فالزوجة فى فترات حملها تتوقع المعاملة الحانية من زوجها وهى التى كانت تتلقاها من والدها، وترى أن يقوم زوجها بمساعدتها فى مسؤولياتها المنزلية ويخرج عن مفهوم دوره التقليدى كرجل شرقى، ويلبى مطالبها وحاجاتها التى تعجز عن القيام بها لنفسها دون الاعتماد على غيرها، وإذا تحقق لها ذلك فإنها تشعر بالراحة النفسية. ولقد تأكد ذلك بإحدى الدراسات التى أوضحت أن الحامل للمرة الأولى، عندما زُودت بالعون والتأييد من زوجها خلال فترات حملها، لم يظهر عليها أى تغيير فى النواحى النفسية، فبدت شهور الحمل كظروف وحالات عادية فى حياتها. أما إذا لم تشعر الحامل بتعاون زوجها معها فإن ذلك يسبب لها التوتر والقلق ويؤثر بالتالى على صحتها النفسية.

كما أن الزوج الذى لا يستطيع تحمل ما تتطلبه حياته الزوجية الجديدة من مسؤوليات يثور ويغضب بل قد يتشاجر عندما يجد زوجته مثقلة بحملها ولا تستطيع تلبية حاجاته أو الوفاء بمطالبة فيتكون لديه اتجاه مضاد للحمل يكون مبعثًا لسوء العلاقات بينهما مما يسبب القلق والتوتر لدى زوجته. أما الزوج الذى يساعد زوجته داخل البيت ويتفاهم معها ويتعاطف فى دفء حول مشاكل حملها ويقدر الفترة الحرجة التى تمر بها لأول مرة فإنه بذلك يساعد على زيادة راحتها النفسية

ويقلل من مستوى القلق لديها. . فعلاقة الزوجة الحامل بزوج مؤيد للحمل لها أثر موجب على حل مشاكلها الانفعالية أثناء الحمل مما يزيد من توافقها النفسى ويقلل من قلقها، كما أن مهارة الزوج وقدرته على حل مشكلات الحمل وتضييق هوة الخلافات بينه وبين زوجته فى اتجاههما نحو الحمل يزيد من توافق زوجته الحامل للمرة الأولى ويخفض مستوى القلق لديها.

جـ) الخوف من عملية الولادة:

مع تقدم شهور الحمل نجد الزوجة الحامل للمرة الأولى والأم المرتقبة تعطى مزيدًا من اهتمامها لمجيء عملية الولادة ويتوارد إلى ذهنها ما سمعته فى طفولتها من أقاصيص مفزعة عن الولادة فتنكمش خوفا وقلقا.

وقد بينت دراسة عن نساء حوامل للمرة الأولى أنهن كن خائفات من عملية الولادة، وكثيرا ما كن يُعبرن عن خوفهن بهزل أول الأمر. ولكن مع مرور الوقت أخذ تعبيرهن عن الخوف من الولادة يأخذ مظهرا أكثر جدية وتعبيرا عن حقيقة مشاعرهن. وفى بعض الأحيان كن يتحدثن عن سوء صحتهن ويضحكن من كوابيسهن وأفكارهن المزعجة، ومن اعتقادهن أن سوء صحتهن من أهم أسباب خوفهن من عملية الولادة. ويبدو أن أوقات الأزمات الشخصية - كعملية الولادة - يتغير أنماط السلوك المألوفة للمرأة الحامل وتصبح أكثر خوفا من المجهول ومما هو آت فى المستقبل، كما ذكر بعض النساء أحاسيسهن أثناء الحمل والولادة للمرة الأولى حيث أوضحن مخاوفهن ومتاعبهن أثناء الحمل وحاجاتهن إلى دعم نفسى وانفعالى، وخوفهن من أحاديث الأمهات الحوامل كبيرات السن عن متاعب الحمل والولادة. ولقد سجلن جميعا ما عدا امرأة واحدة أنه كانت هناك أوقات عديدة كن فيها خائفات من عملية الولادة.

والولادة عملية شاقة بكل تأكيد، وهى ترتبط بالألم، والخوف من الألم هو الذى يزيد من مشاعر القلق لدى الزوجة الحامل.

فالخوف هو العامل الرئيسى لحدوث الألم أثناء الولادة، وارتباط الولادة بالألم يجعل الحامل تنظر إليها على أنها محنة وكارثة مخيفة، فى حين أن ٩٥٪ من النساء الحوامل ليس لديهن عيوب جسمية تمنعهن من ولادة طبيعية. ولذلك

فإن الخوف من الولادة يقود الحامل إلى التوتر والقلق، ويقف عقبة فى طريق الاسترخاء الذى يعتبر من مظاهر استقبال أى عمل عسير.

د) عمر الحامل:

أوضحت الدراسات أن هناك علاقة ذا دلالة بين المتاعب والمصاعب أثناء عمليتى الحمل والولادة والفشل فى الولادة (الإجهاض) من ناحية وبين عمر الحامل من ناحية أخرى، وأن أفضل سنوات الحمل هى ما بين العشرين والثلاثين سنة. وإن كان هناك الآلاف من النساء تقل أعمارهن عن العشرين أو تزيد عن الثلاثين يحملن ويلدن بنجاح.

ولقد أوضحت نتائج الدراسات التى تتبعت رعاية حمل النساء كبار السن (٣٥ ـ ٤٥ سنة) أنهن يعانين من خوف وقلق متزايد طوال شهور الحمل وصعوبات بالغة فى عملية الولادة. كما أن الخوف من الموت أثناء الولادة أو موت أطفالهن أو ولادتهم مشوهين تظل أمورا لها الصدارة فى مخاوفهن وقلقهن من عملية الولادة. فلقد تأكد أنه كلما زادت أعمار الحوامل كلما زادت إصابة أطفالهن بحالات الضعف العقلى، كما أن بعض النساء اللاتى يحملن فى سن متقدمة يُسهمن فى إنجاب أطفال ناقصى النمو، ولعل هذا يرجع إلى تدهور وظيفة التناسل عند بعض النساء المتقدمات فى السن.

كذلك أوضحت نتائج إحدى الدراسات أن الحوامل للمرة الأولى اللاتى يضعن أطفالهن حين يكن فى الخامسة والثلاثين على الأقل من أعمارهن يزداد احتمال تعرضهن للأمراض خلال الحمل وطوال فترة المخاض، بل من المحتمل إلى حد كبير أن تدعو الحاجة إلى الاستعانة بالجراحة القيصرية عند وضعهن لأطفالهن، وهذه الأمور تسبب المخاوف والقلق أثناء شهور الحمل وعملية الولادة للحوامل المتقدمات فى السن.

كما أن حمل النساء صغيرات السن أو ما يسمى بحمل المراهقة يواكبه الكثير من المتاعب الجسمية والنفسية للحامل، وذلك لعدم اكتمال ونضج الجهاز التناسلى لها. ولهذا نجد حالات الأطفال ناقصى النمو واضحة فى حمل النساء صغيرات

السن، وكذلك حالات الإجهاض المتكررة مما يزيد من المخاوف والقلق لديهن كما أنه إذا كان للحامل الصغيرة جسم ناضج قادر على الإنجاب إلا أنه لا يدل بالضرورة على أن لديها بالمثل ذات ناضجة قادرة على تحمل مسؤوليات ومتطلبات الأمومة ورعاية الطفل. وقد يزيد هذا من مخاوفها وقلقها نحو مسؤولياتها المرتقبة وتصبح هى قبل طفلها فى حاجة إلى الرعاية الطبية والنفسية وتعاون الآخرين معها لإعطائها خبراتهم كى تشعر بالراحة النفسية ويقل مستوى القلق لديها.

* تفسير الحالة النفسية للزوجة أثناء الحمل:

أوضحت نتائج الدراسات والبحوث أن القلق يزداد لدى الزوجة الحامل للمرة الأولى بزيادة شهور الحمل حيث وُجد أن النساء اللاتى كانت ولادتهن طبيعية كان مستوى قلقهن منخفضا فى الشهور الأولى من الحمل ثم زاد مستوى القلق لديهن فى الشهور الأخيرة من الحمل.

فمع خلجات السعادة والفرح التى تلازم الزوجة فى الشهور الأولى من الحمل تنشأ المشاكل المتعلقة بتغير صورة الجسم، والمخاوف من المضايقات الجسمية التى تصاحب الحمل والتى تفرض عبئا ثقيلا عليها وعلى من حولها. كما يبدو بوضوح التغير السريع فى الحالة المزاجية وانبعاث مظاهر القلق لدى الزوجة الحامل.

ومع تقدم شهور الحمل واقتراب اللحظة التى يوشك فيها الوليد على الخروج إلى الحياة ليصبح حقيقة واقعة، نجد الزوجة الحامل يساورها مشاعر الضيق والتعب والارتباك والقلق سواء فى الشعور أو اللاشعور من أنها قد تموت أثناء الولادة أو تلد طفلا مشوها أو طفلا يموت أثناء ولادته، وما إلى ذلك مما له صلة بالأقاصيص المفزعة التى تنتقل من الآخرين إلى الحامل فيما يتعلق بالحمل والولادة.

وقد تعود زيادة مشاعر الخوف والقلق التى تنتاب الحامل فى الشهور الأخيرة إلى ما يأتى:ـ

- خوفها من عملية الولادة.
- التعب والإجهاد الناتج عن تغير صورة الجسم وكبر حجم البطن وقلة النوم.
- خوفها من أن تموت أو يموت وليدها.

- الخوف من أن يكون جنس المولود مخالفا لما تتمناه أو يتمناه زوجها.

- هموم نفقات الحمل والولادة.

- الخوف من المسؤوليات الجديدة المرتقبة.

ومع الشهور الأخيرة من الحمل تكون الزوجة متطلعة إلى دور الأمومة وانضمامها إلى فئة الأمهات، وما يحملة ذلك الدور من مسؤوليات نحو طفلها وتربيته وتركه فى الحضانة أو لدى إحدى قريباتها، وما ينشأ عن ذلك من زيادة قلقها عليه، وخوفها من أن يصيبه مكروه أثناء غيابها فى عملها، وهذه هى الأمومة الطبيعية.

كما أن القلق فى الشهور الأخيرة من الحمل الأول أعلى منه بعد الولادة بمعنى انخفاض مستوى القلق بعد الولادة عنه أثناء الحمل سواء للنساء التى خبرن ولادة طبيعية أو اللاتى خبرن ولادة غير طبيعية.

ولقد أوضحت الدراسات أسباب ارتفاع مستوى القلق فى الشهور الأخيرة من الحمل، والعديد من هذه المخاوف التى كانت سائدة قبل الولادة قد انحسرت عن الأم بعد الولادة. فلم تعد المخاوف من آلام الوضع والولادة والخوف من الموت مخاوف لها ما يبررها. كما أن التعب والإجهاد وقلة النوم قد قلت نتيجة لتغيير شكل الجسم مرة أخرى وعودته إلى ما كان عليه قبل الحمل، فتشعر الأم بالصحة والسعادة. كما أن الأم بعد أن اطمأنت على نوع وليدها وعلى مظهره الجسمى وخلوه من التشوهات تحركت لديها مشاعر الأمومة الحقة وشعرت بالراحة النفسية واستتبع ذلك انخفاض مستوى القلق لديها.

والحقيقة أن المرأة التى تأتيها الولادة عادة ما تلاقى مولدين، أولهما مولد طفلها الذى أخرجته إلى الحياة، وثانيها مولدها هى حيث استراحت من التعب والتوتر والقلق.

والعديد من الأبحاث تدل على أن القلق لدى الحوامل أعلى منه لدى النساء غير الحوامل حيث أوضحت إحدى الدراسات أن مجموعة الحوامل كن أكثر قلقا من النساء غير الحوامل، والزوجة بعد ولادتها أصبحت كالنساء غير الحوامل

ولذلك فإن مستوى القلق لديها بعد الولادة أقل منه أثناء الحمل.

كما أظهرت نتائج الدراسات أن الحوامل للمرة الأولى كن أكثر قلقًا أثناء الشهور الأخيرة من الحمل من الأمهات الحوامل بمعنى أن الحامل أثناء حملها تقاسى مستوى قلق أكبر مما يمكن أن تقاسيه فى مرات حمل تالية.

كما أن أحد الدارسين قارن قلق نساء حوامل للمرة الأولى بقلق أمهات حوامل، فوجد أن النساء الحوامل للمرة الأولى أكثر قلقا على أنفسهن وعلى أطفالهن، بينما الأمهات الحوامل كن أقل قلقا وعبرن بوجه عام بمشاعر حدة الطبع والتوتر فقط.

ويبدو أن الأمهات الحوامل بعد ما مررن من قبل بخبرات الحمل والولادة كن أقل قلقا وخوفا من أى أذى أو ضرر أو تشوه قد يلحق بالطفل، وأقل خوفا من عملية الولادة أو من الموت أثنائها.

ولما كان اكتمال نمو المرأة الجسمى والنفسى لا يتم إلا بالأمومة، لذلك فإن الزوجات الراغبات فى أن يكن أمهات مثاليات أو على الأقل أمهات طيبات يشعرن بالتوافق والراحة النفسية أثناء الحمل، ويزداد - توافقهن بعد الولادة عندما تتحرك مشاعر الأمومة إلى أقصى غاياتها، وترى كل أم طفلها حقيقة واقعة بين يديها. كما تشعر كل أم أن أسلوب حياتها قد تغير تغيرا كبيرا نتيجة لاعتماد طفلها الكامل عليها حتى أصبحت حاجاته تأتى قبل حاجاتها، وهذا الدور الإيجابى نحو طفلها يسعدها ويجلب لها السرور والراحة النفسية.

والأم التى تستقبل عملية الولادة للمرة الأولى استقبالا إيجابيا نتيجة لسلامة جانبها الجسمى وجانبها النفسى أيضا، تشعر أن حبها لطفلها، ورغبتها التى تحققت فى أن تكون أما، وحبها لزوجها وفرحتها بتحقيق رغبته فى أن يكون أبا، كلها أمور جعلتها تشعر بالرضا والسعادة مما يزيد من توافقها وراحتها النفسية.

وهناك عدة عوامل تُؤثر فى التوافق النفسى لدى الزوجة وتحدد مدى راحتها النفسية ومستوى القلق لديها:

* التغيرات الجسمية التى تحدث لها سواء فى حجم جسمها أو وظائف

أعضائه أو فى شكله، هذه التغيرات قد تثير مشاعرها وتسبب لها القلق والاضطراب.

* توافقها النفسى قبل الحمل واتجاهاتها نحوه تحدد إلى حد كبير مدى مقدرتها على مقاومة المتاعب المصاحبة للحمل والظروف التى سادت أثناء الولادة وبالتالى تزيد من توترها وقلقها أو تخفضه.

* قوة تحملها حول إشباع حاجاتها التى تأتى فى المرتبة الثانية بعد حاجات طفلها وتقديرها لدور الأمومة.

* نوع التربية التى مرت بها الأم فى مراحل طفولتها والخبرات التى اكتسبتها عن الحمل والولادة والمستوى الاجتماعى والاقتصادى التى تتمتع به عوامل مؤثرة فى توافق الزوجة أثناء الحمل وبعد الولادة.

* كذلك درجة عقيدتها وإيمانها بربها وبنفسها وبالحياة والاختلاف بين الزوجين فى السن والدين والمستوى الاقتصادى الاجتماعى عوامل تؤثر فى توافق الزوجة أثناء الحمل وبعد الولادة، وبالتالى تؤثر فى مستوى القلق لديها.

ولقد أوضحت إحدى الدراسات أن العوامل التى تؤثر فى التوافق خلال الحمل وبعد الولادة وتسبب التوتر والقلق ترتبط بأعراض الحمل واتجاهات الزوجات نحو حملهن ونحو وظائفهن التناسلية وعلاقاتهن بأزواجهن وبالظروف التى سادت أثناء الولادة.

كل هذه العوامل تسبب الاختلاف بين الزوجات فى قدرتهن على مقاومة متاعب الحمل والولادة، وتسبب الاختلاف فى درجة توافقهن وقلقهن.

ورفع مستوى التوافق لدى الزوجة، وخفض مستوى قلقها يمكن الجزم به بمساعدة الزوج بالتلاطف والتأييد والمعاونة وأيضا بكبت آلام الحمل والولادة بسرعة وبالتجربة الجديدة مع الأمومة.

ولقد اتفقت العديد من الدراسات على ترتيب العناصر التى تدل على أسباب القلق لدى الحوامل للمرة الأولى ترتيبًا تنازليًا حسب أهميتها كما فى الجدول التالى:

مسلسل	العنصر	مسلسل	العنصر
١	مسؤولية رعاية الطفل	٨	فقد المظهر العام للجسم
٢	الخوف من عيوب فى المولود	٩	اتجاه الزوج نحو الحمل
٣	الخوف من عملية الولادة	١٠	الخوف من جنس المولود
٤	حاجة الطفل لتفرغ الأم	١١	العلاقات الجنسية
٥	الحمل غير مريح	١٢	العلاقات الاجتماعية بين الزوجين
٦	الانفعالات أثناء الحمل	١٣	عدم حب الأطفال
٧	نفقات الحمل والولادة	١٤	السن غير مناسب لتحمل الحمل

وسنحاول فيما يلى تفسير أهمية العناصر الثلاث الأولى باعتبارها أهم مسببات القلق لدى الزوجة الحامل للمرة الأولى:

(أ) مسئولية رعاية الطفل:

من مميزات هذا القرن اندفاع المرأة إلى ميدان العمل وبذلك أصبح دورها يتجاوز نطاق الأسرة إلى آفاق اجتماعية إنتاجية. وبالرغم من خروجها إلى العمل فإنها لم تستطع التحرر تماما من أعباء بيتها ومطالب زوجها وحاجات طفلها، ولذلك فهى تقوم بالدورين معا، دورها كزوجة ومديرة بيت وأم ودورها كمشتغلة خارج بيتها لها عمل عليها أن تؤديه خير أداء. والقيام بهذين الدورين معا وفى نفس الوقت يرهقها ويوتر أعصابها ويزيد قلقها، كما يؤثر أيضا على استقرارها النفسى وعلى مقدرتها فى رعاية طفلها. فالزوجة التى تعود إلى بيتها وهى منهوكة القوى حيث تكون قد استنفذت جزءا كبيرا من وقتها وجهدها فى عملها وفى مكابدة وسائل المواصلات وشراء ما يلزم لبيتها، لا يتبقى لها إلا القليل من الجهد والوقت تستطيع أن تعطيه لبيتها ولرعاية طفلها، وينتج عن ذلك إحساسها بمتاعب جسمية أكبر من أن تتحملها وتوتر نفسى يزيد من قلقها.

ولقد أوضحت إحدى الدراسات أن خروج المرأة إلى العمل قلل من وظائفها الأسرية وأثر فى واجباتها نحو رعاية أطفالها نتيجة لقيامها بواجبات ومهام أخرى خارج بيتها وتغيبها عن طفلها.

كما أوضحت أن الحوامل للمرة الأولى فوق سن الثلاثين، كن يؤجلن

حملهن سنة بعد أخرى بسبب انشغالهن بأعمالهن وخوفهن من عدم قدرتهن على رعاية أطفالهن حتى وصلن إلى هذا السن.

كما أوضحت نتائج هذه الدراسة أن الحوامل كان لديهن صراع بين رغباتهن فى أن يكن أمهات صالحات أو أن تستمر كل منهن فى عملها، وهذا الصراع كان يزيد من قلقهن وتوترهن. كما بينت دراسة أخرى أن الأمهات العاملات أظهرن قلقا وإحساسًا بالذنب لعدم رضاهن عن طريقة الرعاية لأطفالهن كما أظهرن ميلاً إلى تعويض أطفالهن عن غيابهن بمحاولة أن يكن أمهات صالحات.

ومن ثم أصبحت مشكلة رعاية الطفل هى المشكلة الأولى التى تواجه الزوجة الحامل للمرة الأولى، فمع اقتراب حملها من نهايته تشعر أن هناك ضغوطًا هائلة فى انتظارها تتمثل فى شعورها بحاجتها إلى الراحة بعد إجهاد حملها الطويل، ومشاعر خوفها من عدم كفاءتها لدور الأمومة الجديد، وقلقها من عدم تمكنها من تحمل مسئوليات تربية طفلها، والصراع بين رغبتها فى البقاء مع طفلها طوال فترات نموه وبين محاولتها إنجاز عملها خارج بيتها.

هذه الضغوط هى التى يمكن أن تفسر قلق الحامل من مسئولية رعاية طفلها المنتظر. وهذا القلق ليس رفضًا لدور الأمومة ولكنه الخوف من عدم كفاءتها فى رعاية طفلها ورغبتها فى أن تكون له أمًا مثالية.

وأمام تلك الأعباء التى تواجهها تشعر أنها فى حاجة إلى العون لرعاية طفلها، عون أمها، زوجها، جاراتها، قريباتها، أو الشغالات المأجورات، وإذا لم يتوفر لها ذلك فإنها تطلب العون من دور الحضانة.

ولقد بينت إحدى الدراسات وسيلة رعاية طفل ربة الأسرة العاملة أثناء غيابها عن منزلها كما فى الجدول التالى:

وسيلة رعاية الطفل أثناء غياب أمه فى عملها

مسلسل	وسيلة رعاية الطفل	مسلسل	وسيلة رعاية الطفل
١	الجدة	٥	الجيران
٢	الشغالة	٦	الاعتماد على النفس
٣	دور الحضانة	٧	الاعتماد على الزوج
٤	إحدى قريبات الأسرة		

وإذا كان جزء كبير من الأمهات يعتمدن على الجدة فى رعاية الأطفال مدة بقائهن فى أعمالهن، وإذا كان معظم النساء قد أقبلن على التعليم والمشاركة فى الحياة العملية فإنه من المتوقع أن يترتب على ذلك تناقص كبير وباستمرار فى نسبة الجدات اللواتى يمكن أن يُترك معهن الأطفال ومن ثم فإن مسئولية رعاية الطفل بالنسبة للمرأة العاملة ستزداد تفاقما وتزيد الأم قلقا وتوترا.

كما أنه من الملاحظ تناقص عدد الشغالات فى البيوت بسرعة كبيرة، وأصبح من المناسب الآن عدم وضعهن فى الحسبان لرعاية أطفال الأم العاملة.

أما دور الحضانة فمن الملاحظ أن معظمها ليس مشبعا لحاجات الطفولة. فالطفل ليس فى حاجة إلى مأكل وملبس ومأوى فقط، بل إنه فى حاجة إلى دار حضانة توفر له المحبة والعطف الذى يشبع حاجته إلى الأمن والاستقرار النفسى، دار حضانة تقوم بدورها نحو طفولة سعيدة ومواطنة فاضلة وتحقيق الظروف الملائمة لحاجات الطفل ونموه.

والافتقار إلى مثل هذه الحضانات يشيع عدم الاطمئنان بين الأمهات لإرسال أطفالهن إلى دور الحضانة مما يزيد مسئولية رعاية الطفل تعقيدا، ويزيد الأم توترا وقلقا. ولقد بينت إحدى الدراسات أسباب عدم إرسال الأمهات العاملات أطفالهن لدور الحضانة كما فى الجدول التالى:

مسلسل	الأسباب
١	عدم الاهتمام بالأطفال فى دور الحضانة.
٢	بعد المسافة بين البيت والحضانة.
٣	زيادة الأعباء المالية.
٤	عدم وجود حضانة فى الفترة المسائية.
٥	صغر سن الأطفال.

وتدل استجابات بعض الحوامل فى إحدى الدراسات على مدى خوفهن وقلقهن من مسئولية رعاية الطفل، ويتضح هذا من بعض الأمثلة التالية:

* أهم مشكلة تواجه الموظفة بعد ولادتها:

- ترك الطفل بالحضانة وحرمانه من أمه ساعات طويلة.
- التوفيق بين العمل وتربية الطفل.
- الطفل وأين تتركه فترة عملها.
- رعاية الطفل وعدم وجود من يرعاه فى غيابها.
- عدم توفر دور الحضانة فى أغلب الأحياء على مستوى طيب.
- عدم وجود الوقت الكافى لرعاية الطفل.

(ب) الخوف من عيوب فى المولود:

عندما تسمع الحامل عن ولادة طفل غير مكتمل النمو أو الحجم أو به تشوهات خلقية أو عندما ترى صورته، فمن الطبيعى أن يزداد قلقها سواء أكان السبب يُعزى إلى أمراض أو تلف أو إصابات تكون الام نفسها قد أصيبت بها أثناء حملها، أم يعزى إلى صعوبة عملية الولادة وخروج الجنين من الرحم.

وتعتبر الحامل جنينها من الناحية النفسية جزءا منها تعكس عليه مخاوفها العديدة وتوقعاتها المختلفة حيث تخشى أن تراه مولودا به عيوب وتحلم به طفلا طبيعيا جميلا. ومن الملاحظ أن بعض الزوجات المصريات فى فترات حملهن ينظرن باستمرار إلى صورة طفل جميل، كأن التخيل والتفكير فى هذه الصورة سيجعلهن يلدن طفلا ليس له مثيل.

والأم المرتقبة تعلم أن ولادة طفل به عيوب سيكون عبئا يفرض عليها جهدا جسميا كبيرا. أنها لا تستطيع أن تخرج ذاتها جسميا أو عاطفيا من العناية به وبأنشطته الخارجية، وهذا عبء لا تستطيع أن تتحمله طوال حياتها.

إنها ستكون مشغولة دوما بمشاكله، وكيفية تعامله مع غيره من الأطفال، بل تفكر فى عدم استطاعته العمل كرجل يكافح بنجاح.

وخوف الحامل من أن يكون وليدها مشوها وأنثى فى نفس الوقت يزيد من فزعها وقلقها؛ لأن خوفها من أن تضع مخلوقا مشوها أو ناقص التكوين يصبح

وسواساً يحاصرها فلا تكف عن الرجوع إلى الكتب الطبية واستشارة أهل الرأى والخبرة خاصة إذا ما كان فى عائلتها أو عائلة زوجها طفل « مشوه»، وهذا ما قد يحول بينها وبين ترقب طفلها بفرح ولهفة.

والطب الحديث على الرغم مما يقدمه من أمن ومن التمسك بالحياة خلال الحمل والولادة، ألا أنه يعمل على زيادة عدد الأطفال المختلين.

فقد دلت الابحاث الطبية على أن دواء الثاليدوميد أحدث العديد من التشوهات فى الآلاف من الأطفال نتيجة تناول أمهاتهم أثناء الحمل هذا الدواء المهدئ.

بل أوضحت إحدى الأبحاث أن أبسط الأدوية كالأسبرين له تأثير ضار ومخيف على أجنة فئران المعمل، فقد تم إعطاء فئران التجارب أسبرين فى اليوم السادس حتى اليوم الأخير للحمل. وقد كانت النتائج مخيفة للغاية حيث وجُد أن نسبة الوفيات مرتفعة فى أجنة فئران المعمل، وبها تشوهات وعيوب تكوينية وخلقية واضحة، ولذلك أصبحت النساء الحوامل بوجه عام يخشين من أن يضعن أطفالا مشوهين نتيجة لتعاطيهن بعض أنواع العقاقير فى مراحل الحمل المختلفة.

ويبدو الخوف من ولادة طفل مشوه فى استجابات بعض الحوامل كما يلى:

* تخشى الحامل من ولادة...
- طفل مشوه أو به ضعف.
- طفل به عيب خلقى.
- طفل شكله فظيع.

* عندما ترى الحامل صورة طفل مشوه...
- تخاف على مولودها.
- تدير وجهها ولا تحب النظر إليه.
- تتشاءم وتنزعج.
- تطلب من الله السليم الصالح.
- تخاف أن يصبح طفلها هكذا.

(جـ) الخوف من عملية الولادة:

تنظر بعض الحوامل إلى الولادة على أنها عملية مصحوبة بالألم والخوف والقلق وأحيانا بالخطر، فمع الولادة يكون غالبا الخوف من المجهول، وهذا أمر غير طبيعى حيث أن معظم الحوامل لديهن خبرة غامضة وخاطئة عن الولاده مصحوبة من وقت لآخر بالقلق مما جعل الولادة مشكلة حقيقية لهن، وإذا كان هناك مشاكل متعلقة بالولاده يمكن إنكارها إلا أنه من المؤكد أن حكايات وأقاصيص الزوجات كبار السن مبالغ فيها مما ساعد على خلق حالة من القلق والخوف من عملية الولادة.

ومع تقدم الطب الحديث والرعاية والاهتمام الذى نالته الحامل هذه الأيام فإن عملية الولادة تكاد تكون خالية من حالات الضرر والأذى سواء للحامل أو لوليدها.

ونتيجة للتقدم الطبى الحديث والرعاية الصحية أثناء الحمل والتغذية السليمة قل معدل الوفيات الناتجة عن الحمل والولادة، وانخفض بالتالى معدل خوف الحوامل من أن يمتن أثناء ولادتهن.

كما أن الرعاية الصحية هذه الأيام استطاعت أن تقلل من نسبة موت الأطفال الرضع بعد أن تنبه الأطباء والعلماء إلى مشاكل الأيام الأولى فى حياة الطفل واستطاعوا أن ينتصروا على معظم الأمراض والأخطار التى قد تحدث فى فترة ما بعد الولادة مباشرة. ومن ثم قل فى الوقت الحاضر وإلى حد كبير ارتباط الخوف والقلق بعمليات الولادة.

والحقيقة أن الزوجة الحامل تسعد بحملها وبقدوم طفلها؛ لأن عدم إنجابها تهديد لوجودها فى بيتها، بل وخشيتها من وجود ضرة معها. فإذا تأخر الحمل والإنجاب للزوجة فإنها تسعى وراءه عند المعالجين وحتى عند الدجالين، وذلك لعظم المشكلات التى يجرها عدم الحمل أو العقم من مشكلات زواجية وسوء توافق بين الزوجين وحتى الطلاق.

فالإنجاب هو سبيل إتمام أنوثتها وتكملة شخصيتها وتوافقها ورضاها عن نفسها.

والزوجة التى يغلب عليها الفرح بالحمل تشعر بالإحباط إذا استغنى الجنين عنها، ولذلك تحرص دائما على أن تحمل وتلد بشكل دورى منتظم. كما أن وجود الجنين داخلها يعطيها الحق فى تجنب الأعمال المرهقة التى قد تضر بجسمها وبجنينها، ولذا يقتصر العالم فى نظرها على نفسها وجسمها وما بداخله.

ومن ثم فإن الرغبة فى الحمل والإنجاب رغبة قوية عند أغلب النساء فى سنوات خصوبتهن، وأن الزوجات يصبحن أكثر ثقة بالنفس بعد الحمل ويتطلعن إلى دور الأمومة وخاصة إذا جاء الحمل تحقيقا لرغباتهن ورغبات أزواجهن وأقاربهن وبيئتهن الاجتماعية.

والحقيقة أن معظم الزوجات المصريات ينظرن إلى الأطفال على أنهم منبع كبير لرضاهن ورضا أزواجهن وكمصدر لسعادتهم وامتدادا للنفس وكنوع من الخلود.

ولقد تأكد ذلك من دراسة أبرزت أهم ما أظهرته المأثورات الشعبية فى المجتمع المصرى والخاصة بالحمل والانجاب.

(١) إن الحمل والقدرة على الإنجاب هما من أهم مقومات المرأة التى تكسبها الحُظوة عند الزوج وأهله.

(٢) إن الحامل تتمتع بمكانة عالية فى الأسرة وخاصة إذا هى أنجبت ذكرا.

(٣) وجود الأطفال يحقق الإشباع والرضى النفسى للأهل ويوفر لهم السعادة.

توصيات للزوجة الحامل

ومن هذا المنطلق نهدف إلى رفع مستوى الرعاية النفسية والاجتماعية والجسمية للحامل التى لم تصبح أماً بعد، والأخذ بيدها والعناية بها والرعاية لها كى تلد ولادة طبيعية، وتلد طفلا سليما، وتتعلم فن رعاية الطفل، وتحتفظ كل حامل بصحة جيدة. ولن يتأتى هذا إلا إذا أعددناها إعدادا سليما لدور الأمومة المرتقبة. والإعداد لهذا الدور لايبدأ منذ بداية الحمل بل فى وقت مبكر من حياتها وذلك بتعلمها مبادئ الحياة السليمة والأهمية المقدسة للأسرة ورسالتها فى المجتمع.

والإعداد لدور الأمومة عملية مستمرة تشتمل على:

(١) الرعاية قبل الزواج.

(٢) الرعاية أثناء الحمل.

أولا: الرعاية قبل الزواج:

ويتم ذلك عن طريق:

أ ـ الإعداد لحياة الأسرة:

تستطيع المدارس الثانوية والكليات الجامعية أن تقدم دوراً لا يستهان به فى عملية إعداد طلابها للزواج وحياة الأسرة بما فيها من حمل وإنجاب، وذلك من خلال مقررات معنية أو محاضرات توضع لهذا الغرض مدعمة بأفلام مناسبة.

ويمكن أن يتضمن برنامج التربية من أجل الزواج والحمل والإنجاب، دور كل من الزوجة والزوج فى هذا البرنامج، والقيم والاتجاهات والثقافات السائدة فى مجتمعنا نحو هذه الموضوعات.

ولا شك أن تربية أفراد الجنسين على حياة الأسرة بكافة جوانبها النفسية والاجتماعية والمادية سوف يساعد على زيادة فهم كل من الجنسين لدوره وما يتبع ذلك من ازدياد الراحة النفسية والصحة النفسية لهما فى المرحلة المستقبلية.

ب ـ السن المناسب للزواج:

أثبتت الدراسات أن أنسب سن للحمل الأول هو من ٢٠ إلى ٣٠ سنة ولذلك يفضل عدم التبكير أو التأخير كثيرا فى الزواج لاعتبارات خاصة بالنضج الجسمى والنفسى والاجتماعى.

جـ ـ الكشف قبل الزواج:

يتم هذا فى مكاتب خاصة بالراغبين فى الزواج، ويهدف إلى كشف الحالات المرضية بينهم وخاصة الأمراض التى تنتقل بالوراثة إلى الجنين والطفل.

فقد أوضحت البحوث البيوكيمائية والطبية أنه إذا كانت الحامل مريضة بالبول

السكرى أو بارتفاع ضغط الدم، فإن الجنين يمكن أن يتعرض للهلاك أو التشوه، أو على الأقل يصاب بالحصبة الألمانية الحميدة.

ثانيا: الرعاية أثناء الحمل:

تمثل فترة الحمل أهم فترة فى برنامج رعاية الأم المرتقبة، وذلك لأنه على الرغم من أن الحمل وظيفة طبيعية للمرأة، ألا أنه يكون مصحوبا فى العادة ببعض المتاعب الجسمية والنفسية.

وإذا كانت القوة الكبرى التى تعمل عملها إبان الحمل هى القلق فإن من الواجب أن نقيم وزنا كبيرا لهذه القوة فى حياة الزوجة أثناء حملها. ولذلك نهدف إلى وضع إرشادات للرعاية المستمرة للزوجة خلال حملها الأول، وتحسين الظروف النفسية والاجتماعية المحيطة بها تساعد على إكسابها الثقة والاطمئنان والصحة النفسية وتعمل على محاولة خفض حالة القلق لديها.

وتتم الرعاية أثناء الحمل على عدة طرق:

أ ـ الرعاية الصحية الطبية:

تساعد الرعاية الصحية الطبية الزوجة أثناء الحمل فى تخفيف اضطرابات الحمل، وذلك لأن عملية الحمل تتأثر بوجه عام بنمو المرأة وصحتها الشخصية.

فالمرأة التى تبدأ حملها بجسم طبيعى كامل النضج جيد التغذية وفى صحة جيدة، تكون أقل احتمالا فى التعرض لتعقيدات الحمل، وأقل عرضة للإصابة بالأنيميا أثناء الحمل.

ولقد أوضحت نتائج بعض الدراسات عن وجود علاقة موجبة بين ما يتلقاه النساء من رعاية صحية طبية أثناء فترات حملهن وبين:ـ

- انخفاض ما يعانونه من أنيميا أثناء الحمل.
- انخفاض ما يعانونه من عدم نضج أطفالهن.
- زيادة معدل غذاء الطفل من صدر أمه بعد الولادة.

ويمكن أن تأخذ الرعاية الصحية الطبية عدة صور:

(١) من الضرورى أن تحصل الزوجة الحامل على غذاء صحى مناسب إذا أريد لها أن تحتفظ بحالتها الصحية الطبية خلال الحمل، وأن تلد طفلا طبيعيا سليما. فالحامل التى يحتوى جسمها على نسبة عالية من عنصر الكالسيوم مخزونا بالعظام، من السهل أن تحفظ لنفسها ولجنينها إمداداً كافياً من هذا العنصر، ذلك لأن الجنين يحصل على متطلباته الغذائية قبل أن تحصل الأم على متطلباتها حيث يستمد غذائه من مدخراتها. أما إذا كانت هذه المدخرات غير كافية وهبطت إلى نقطة النقص عند الأم عجز الجنين عن الحصول على عناصره الضرورية، حيث يكون من الصعب خلال الحمل تعويض عناصر معينة من الغذاء فى جسم الحامل. والحوامل اللاتى يتناولن أغذية متكاملة خلال حملهن يلاحظ أن معظم أطفالهن حديثى الولادة يتمتعون بصحة جيدة، وبينما الحوامل اللاتى ينقصهن الغذاء الجيد من المحتمل أن ينجبن أطفالاً يتميزون بنقص الوزن وانعدام الصحة بل الإصابة ببعض الأمراض.

من هذا المنطلق فإن على الزوج وكل المحيطين بالحامل أن يحرصوا على تناولها غذاءً صحياً كافيا، وأن يعلموا أنها تأكل « الطعام من أجل اثنين».

(٢) كما تشتمل الرعاية الصحية الطبية للحامل على الكشف الطبى الدورى عليها بانتظام وإعطائها النصائح والإرشادات من الطبيب المولد حتى تهتم برعاية نفسها أثناء حملها أكثر من أى وقت مضى.

(٣) ينبغى على الحامل أن تستريح خلال حملها وخاصة فى شهوره الأخيرة ولا تحمل أثقالا ولا تعرض نفسها للإجهاد، وتحد من نشاطها الجسمى والعضلى الكبير الذى تقوم به.

(٤) الإعداء لعملية الولادة: تعتبر مرحلة الولادة إلى حد كبير اختبارا لقوة معظم النساء اللاتى يلدن للمرة الأولى حيث يجهلن عملية الولادة تماما، ولم يمررن بخبراتها من قبل. ومن الممكن أن تستقبل الحامل هذه الخبرة استقبالا إيجابيا إذا أعدت نفسها لعملية الولادة ولهذا الحدث الهام فى حياتها.

والإعداد لعملية الولادة يشتمل على تدريبات تقوم بها الحامل الغرض منها تقوية عضلات الجسم وخاصة عضلات البطن وإكتسابها المرونة، وإعداد الزوجة للأوضاع والحركات التى يجب أن تمارسها أثناء المخاض. وإذا أردنا ولادة دون خوف كان علينا تعليم الأم المرتقبة الطريقة السليمة للاسترخاء الذى يساعد على تخفيف الخوف والألم عند الولادة كما نطلب من الأم المرتقبة التى على أهبة الولادة أن تمارس عملية التنفس العميق، وتقلصات عضلات البطن استعدادا للمخاض، وتشجيع آباء المستقبل على أن يكونوا على دراية تامة بالتغيرات الجسمية والنفسية التى تحدث لزوجاتهن أثناء الحمل والولادة، وذلك عن طريق حلقات تدريبية وتعليمية ومناقشات يقوم بها أطباء التوليد معهم.

(٥) الرعاية النفسية الاجتماعية:

وتتم عن طريق:

(أ) إعطاء المعلومات للحامل:

نوصى بضرورة إعداد الحامل لفترة الحمل والولادة خاصة الحوامل للمرة الأولى وذلك عن طريق توجيههن إلى ما يحدث خلال تلك الفترة واعطائهن كافة المعلومات عن التغيرات الجسمية والنفسية المصاحبة للحمل والولادة.

لذلك يجب تثقيف الحوامل تثقيفا صحياً بتعليمهن الصحة الشخصية وأسس رعاية الطفل وخاصة حديث الولادة،وطرق تغذيته وتنشئته تنشئة صحية، وتحصينه ضد الأمراض المعدية وحماية من الذباب والحشرات.

كما يجب إعطاء كافة المعلومات للزوجة الحامل عن المراحل المختلفة من الحمل والولادة باعتبارها عمليتان طبيعيتان فى حياة المرأة سواء عن طريق تعليمات وإرشادات الطبيب المولد أو عن طريق برامج إذاعية أو تليفزيونية أو مجلات نسائية.

إن فهم الزوجة لما يحدث لها خلال حملها وإدراكها للتغيرات التى تحدث لها يكسبها الثقة فى القدرة على الحمل بدون متاعب والإنجاب بدون ألم. إن حالة الثقة هذه تنجز عمليتى الحمل والولادة بطريقة أسهل ليس للحامل فقط ولكن

أيضا للطبيب المولد الذى يقوم برعايتها.

وإذا كنا لا نستطيع القول للزوجة أن حملها وولادتها ستكونان عمليتين بسيطتين سهلتين طالما أنها منذ طفولتها مقيدة بفكرة أن الحمل سيكون غير مريح والولادة ستكون طويلة مؤلمة، إلا أن الشىء الواضح تماما أن إدخال الثقة إلى الحامل للمرة الأولى يمكن أن يجعل فترة الحمل والولادة تمر بسلام فتشعر الحامل بالراحة النفسية والتوافق مع حملها وولادتها.

ويجب أن تعطى كل حامل كتيباً يحتوى على المعلومات المفيدة حول الحمل ورعاية الطفل مدعما بالرسوم أو الصور لتوضيح المعلومات الشائعة عن الحمل والولادة وتوضيحا علميا لهما.

إن فهم ما يحدث خلال الحمل يعتبر نصف الطريق نحو التمتع بحمل سعيد ناجح، كما أن فهم الحامل كل شىء عن حملها والتغيرات الجسمية والنفسية التى تصاحب حملها سوف يجعلها تتمتع بالثقة فى النفس والقدرة على الولادة، وفق ذلك فإنها لن تخاف من المجهول.

إن أهمية إعطاء الحامل المعلومات عن الحمل والولادة تساعدها فى التخلص من القلق وتجلب لها الراحة النفسية. ولقد أكد خبراء علم النفس وأطباء التوليد أن الخوف والقلق اللذين يصيبان الكثيرات من الحوامل يمكن إرجاعهما أساسًا إلى جهلهن بالكثير من المعلومات التى يجب معرفتها عن الحمل والولادة.

كما أن زيادة إعطاء المعلومات عن الحمل والولادة للزوجة التى تنتظر مولودها الأول يمكن أن تستخدم كأسلوب فى خفض حالة القلق لديها.

(ب) دور الزوج:

فى الماضى كانت عمليتا الحمل والولادة جزءًا خاصًا من حياة المرأة المتزوجة، ولم يكن الرجال يهتمون بهذه العمليات إلا قليلا. أما الآن فيوجد أعداد متزايدة من الرجال الذين يهتمون بالحمل والولادة، ويتابعون التغيرات الجسمية التى تحدث للزوجة أثناء حملها، والاضطرابات النفسية المصاحبة له.

والزوج الذى يفهم تلك التغيرات يستطيع أن يساعد زوجته فى تلك الفترة الحساسة من حياتها، ويكون قادرا على أن يلعب دورا هاما فى اقتسام بعض المشاكل التى تواجهها زوجته أثناء حملها. فمن المعروف أن تدخل الزوج لحل المشكلات الناتجة عن الحمل وإعطائه الإطمئنان والتشجيع لزوجته، يوفر الراحة الجسمية والنفسية لها ويخفض من مستوى قلقها وتوترها.

ومن ثم نوصى بأن الأمر يتطلب التفكير فى إنشاء معاهد أو مراكز لتقديم كافة المعلومات النفسية والتربوية والصحية عن الحمل والولادة ليس للزوجات فقط ولكن للأزواج أيضا، حتى يكون الزوج على دراية كافية بكل ما تمر به زوجته من تغيرات أثناء حملها وبعد ولادتها، وبما تحتاجه هذه الفترة من حياتها من تفهم لمشاكلها ومخاوفها وقلقها. وهذا أمر نجده فى البلدان الأوروبية التى تحرص على تدريب الأزواج والزوجات للقيام بوظائف الأمومة والأبوة قبل مجىء الطفل الأول.

ويمثل الجدول التالى أنواع التدريب التربوى والنفسى والطبى الذى حصل عليه الأزواج والزوجات قبل ميلاد الطفل الأول وذلك كما جاء فى إحدى الدراسات التى أجريت فى الاتحاد السوفيتى:

نوع التدريب
* قراءات تربوية وطبية. * محاضرات طبية فى مراكز إرشاد الأمهات * استشارات مع الأطباء ورجال التربية * محاضرات فى الجامعات الشعبية موجهة للوالدين.

وعن طريق المعرفة التى اكتسبتها الحامل وزوجها عن الحمل والولادة، تنال الحامل الثقة فى قدرتها على أن يكون حملها وولادتها عمليتين طبيعيتين إلى حد كبير، فالطمأنينة للحمل والولادة تأتى من خلال المعرفة والثقة.

ولقد أكد هذا الرأى أحد الباحثين حيث أمكنه الحصول على نتائج طيبة عندما أخذ الأزواج مع زوجاتهم معلومات قبل الولادة من مكتب الإرشاد العام تدور حول الولادة ودور الأمومة. فقد لاحظ فى دراسات متتالية استمرت ست سنوات أن الأمهات اللائى تلقين مع أزواجهن إرشادات وتعليمات ومعلومات عن الحمل والولادة ورعاية الطفل كان شفاؤهن الجسمى والنفسى أسرع من الأمهات اللاتى لم يتلقين وأزواجهن مثل هذه الإرشادات، كما كانت صحة أطفالهن أفضل.

ولما كان الزوج هو الشريك الجنسى للزوجة فإننا نطالبه أن يحضر أثناء الولادة، وحضوره سيكون أكبر مساندة نفسية لها، ومساعدة من الزوج فى تقبلها لمتاعب الولادة، وبعث السرور والسعادة لدى زوجته فى تجربتها مع عملية الولادة، فتصبح خبرة سارة وتجربة مريحة.

دور الدولة فى رعاية الحامل:

نتيجة للتطلعات الجديدة للمرأة نحو العمل والحياة الاجتماعية وإثبات الذات دخلت المرأة سوق العمل تشارك وتساهم فى البناء أو دفع عجلة الإنتاج والتقدم.

ولذلك وجب على الدولة ألا تبخل عليها بالرعاية أثناء حملها حفاظًا عليها وتقديرًا لوظيفتها كأم مسئولة عن تربية النشئ أمل المستقبل وإشراقة الغد المأمول للأمة، ولا يجب أن تتم رعاية الدولة لها بأى شكل وفى أى اتجاه بل أصبح لزاما على الدولة:

- إصدار القوانين لحماية الحامل: أصدرت الدولة قانون العمل رقم ٩١ لسنة ١٩٥٩ الخاص بأشتغال المرأة بعد الوضع يُنظم أجازة الوضع وفترات إرضاع الطفل وغيرها، بينما أهملت الدولة فترات الحمل رغم ما بها من تغيرات جسمية تجعل الحمل غير مريح، واضطرابات نفسية تتمثل فى الشعور بالقلق مما يؤثر على عملها وعلى مستوى إنتاجها.

ولذلك وجب على الدولة حماية للحامل وجنينها تقليل ساعات العمل فى الشهور الأخيرة من الحمل، واعطاؤها أجازة بمرتب كامل فى شهرها التاسع حتى تستريح وتريح من حولها.

- رعاية الحامل طبيا: يجدر بالدولة أن تبذل الجهد للعناية بالزوجات أثناء حملهن وولادتهن، كما عليها أن تزيد رعايتها الصحية للأطفال حديثى الولادة على وجه الخصوص حتى يمكن حمايتهم من خطر الوفاة. ومن ثم فإن إنشاء العديد من المستشفيات المتخصصة فى أمراض النساء والولادة بصورة أكبر، والتوسع فى أقسام الولادة فى المستشفيات العامة وتزويدها بالأطباء المتخصصين والممرضات المدربات مما يساعد على الارتقاء بالخدمات الطبية للزوجة أثناء حملها وولادتها.

إن حماية الزوجة من أخطار الحمل والولادة، وحماية الطفل الوليد من خطر الوفاة أصبحت ضرورة إنسانية يجب على الدولة القيام بها حماية للأسرة من الأضرار الاجتماعية والنفسية التى قد تسببها.

- الارتفاع بمستوى دور الحضانة والتوسع فيها: إذا كانت مشكلة رعاية الطفل هى المشكلة الأولى التى تسبب الخوف والقلق لدى الحوامل للمرة الأولى فإنه يجب أن تتصدى لها الدولة وجميع المسئولين المهتمين بأسرة المستقبل وبدور المرأة فى عالم الغد.

ولذلك يجدر بالدولة الاهتمام بدور الحضانة وحسن الإشراف الطبى والنفسى عليها حتى تصبح مشبعة لحاجات الطفولة، والعمل على زيادتها وعدالة توزيعها على الأحياء المختلفة نظرا للزيادة المضطردة فى عدد الأطفال، وكذلك الزيادة فى عدد الأمهات العاملات. كما أن إنشاء دور حضانة فى كل عمارة سكنية سيقضى على مشكلة المواصلات بين البيت والحضانة، وبذا توفر الأم العاملة وقتها وجهدها كى تستنفذه فى رعاية أطفالها مما يسبب لها الراحة النفسية ويخفض من حالة القلق لديها.

وبعد..

فإن الإعداد لعمليتى الحمل والولادة تشتمل على مناقشات جماعية مع الحوامل وأزواجهن تنصب على تغذية الحامل وسيكولوجية الحمل والولادة وميكانزم الوضع. ويجب أن تدور المناقشات مصحوبة بأمثلة تخطيطية ومصورة. كما تشتمل المناقشات على شرح أسباب الخوف والقلق لدى الحامل وبث الطمأنينة

فى نفسها باعتبار الحمل وإن كان غير مريح إلا أنه ضرورى. كما أنه ليس هناك ما يدعو إلى الفزع والذعر من الولادة أو الموت أو تشوه الجنين أو غير ذلك من العوامل التى ربما تكون قد غرستها الخبرات الماضية والتربية الخاطئة فى طفولة الزوجة ومراهقتها.

الفصل الثالث
(الأم والطفل)

(*) مقدمة.

(*) الأسرة والطفل.

(*) العلاقة بين الأم والأب.

(*) علاقة الأم بالطفل.

(*) أساليب معاملة الأم للطفل.

(*) الطفل المتوافق اجتماعيًا:

- مظاهر التوافق الاجتماعى للطفل

الألفة وتتمثل فى:

التعاون. المكانة الاجتماعية . العطف والحنو

- مظاهر سوء التوافق الاجتماعى للطفل

النفور ويتمثل فى:

العناد. المناقشة. المشاجرة. المكايدة والتعذيب.

الطفل والحرمان من الأمومة

- معنى الأمومة

- إبعاد الحرمان من الأم.

* حرمان جزئى. * حرمان تام.

- أثر الحرمان من الأم على الطفل:

* أثر الحرمان على نمو شخصية الطفل

* أثر الحرمان على النمو الجسمى والعقلى والاجتماعى للطفل.

- الحرمان وعمر الطفل. - خلاصة وتعليق.



مقدمة

يولد الطفل داخل نطاق الأسرة فتستقبله أمه بذراعين حانيتين تشبعان حاجته إلى الحب وثديين موفورين بالغذاء يشبعان حاجته إلى الطعام. وتقوم الأم باشباع حاجات الطفل البيولوجية والنفسية أثناء نموه يساعدها فى ذلك الأب، ويقومان معًا بإكساب الطفل أنماط السلوك الاجتماعى المقبول الذى يتفق وما فى المجتمع من قيم وعادات وتقاليد، كما يعملان على استدخال ثقافة المجتمع فى الطفل لتسرى فى جسمه كما يسرى الهواء فى دمه.

ومن ثم ينمو الطفل داخل الأسرة تملأه مشاعر الحب والألفة والطمأنينة والأمن والراحة النفسية فيرضى عن نفسه ويرضى عن الكبار حوله فيكتسب التوافق السوى والصحة النفسية السليمة.

ويعتبر الطفل المسرح الذى يظهر عليه كل العلاقات داخل نطاق الأسرة سواء العلاقة بين الأم والأب أو علاقة الأم بالطفل وأساليب رعايتها له، هذه العلاقات الأسرية تترك آثارها على توافق الطفل وعلى صحته النفسية: وسوف نتحدث فيما يلى عن هذه العلاقات والأساليب تفصيلاً.

الأسرة والطفل:

علاقة الطفل بوالديه وأخوته تنشأ عادة فى محيط الأسرة وهذا ما يدعونا إلى القول بأن للأسرة وظيفة اجتماعية هامة وخطيرة تتمثل فى صبغ سلوك الطفل بصبغة اجتماعية تعمل على تحطيم تلك النزعة الأنانية التى نلاحظها على سلوك الأطفال فى الأسابيع الأولى من حياتهم والأسرة من وجهة النظر الاجتماعية عبارة عن إحدى الجماعات الاجتماعية التى يتكون منها المجتمع وهى تعتبر من أهم هذه الجماعات فهى الوحدة الاجتماعية الأساسية التى تنشأ عن طريق ترابط التجمعات الجماعية التى يكون التعاون الواعى أساس وجودها.

وتستمد الأسرة أهميتها من أنها البيئة الاجتماعية الأولى التى تستقبل الطفل منذ ولادته وتستمر معه مدة طويلة من حياته، وتشكل قدراته المختلفة واستعداداته

المتباينة وأيضا تعاصر انتقاله من مرحلة إلى أخرى، وفيها أيضا يتم التشكيل الأساسى لشخصيته ويمارس أول علاقاته الإنسانية. فقد أكدت الدراسات أن الأسرة أول بيئة للطفل حيث هى التى تهيئ نمط اتجاهاته نحو الناس والأشياء والحياة عموما، فضلا عن أن الطفل يتوحد مع أعضاء الأسرة الذين يحبهم فيقلد سلوكهم ويتعلم التكيف بالحياة على غرارهم، وفى كلمة واحدة أنه بينما يتعدل النمط الذى تنشأ عليه الأسرة كلما كبر الصغار فهو لا يقتلع من جذوره تماماً فى الكبر وطول الحياة فلقد ثبت أن جذور الشخصية لدى المراهقين بالمدرسة تتأثر عادة بخبرات مرحلة الطفولة المبكرة.

وعلى هذا فإن الأسرة أصبحت بحق مهد الشخصية فمن السنوات الأولى وفى أثنائها تتكون عند الطفل عن طريق الأسرة النماذج الأساسية لردود الفعل الخاصة بالتفكير والشعور كما تتكون المعايير والقيم التى تؤثر على تاريخ حياته المقبلة.

والدور الخطير الذى تلعبه الأسرة فى حياة الطفل وتشكيل شخصيته يمكن معرفته لو تتبعنا ما يحدث فى حياة الطفل منذ ميلاده وخلال عملية نموه ونضجه وهذا هو ما يعرف باسم عملية التنشئة الاجتماعية فالطفل يولد وهو غير متميز بأى قدره على مواجهة مستلزمات حياته الاجتماعية من مهارات وأساليب تعامل وفى خلال سنوات طويلة من الطفولة والتى تعد السنوات الست الأولى - وهى أكثرها أهمية - تتوقف حياته ومعيشته أساسا على أسرته وبالدرجة الأولى على أمه بل تتعدى ذلك إلى شخصيته وجعله متوافقًا مع أفراد المجموعات التى يندمج فيها ويكون عضوا من أعضائها وعليه فإن التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة تعمل على تحويل الطفل من كائن عضوى حيوانى السلوك إلى شخص آدمى بشرى التصرف فى محيط أفراد آخرين من البشر، يتفاعل بعضهم مع بعض ويتعاملون على أسس مشتركة من القيم التى تبلور طرائقهم فى الحياة.

وتنحصر أهم النواحى التى تقوم بها الأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية فى تحقيق ما يلى:

تحقيق التكامل الاجتماعى:

ويقصد به أن الأسرة تعمل على توفير الجو الاجتماعى السليم الصالح واللازم لعملية التنشئة الاجتماعية وهذا التكامل الاجتماعى يتوفر للطفل من وجوده فى أسرة مكتملة تضم الأب والأم والأخوة، ولقد بينت العلوم التربوية النفسية أن الطفل يكون دائما بحاجة إلى أن ينمو فى كنف أسرة مستقرة ومع والدين، كما أثبتت حاجته إلى أخوة ينمون معه ويشاركونه حياته الأسرية فلكل من الأم والأب والأخوة دوره الذى لا غنى عنه للطفل والذى له تأثيره الكبير على نموه وتشكيل شخصيته وإعداده وتهيئته للتكامل مع المجتمع الخارجى.

تحقيق التكامل النفسى:

حيث لا يكفى لكى تكون الأسرة متمتعة بالصحة النفسية أن تكون عناصرها موجودة وإنما لابد أيضا من أن تكون العلاقات السائدة بين هذه العناصر متزنة سليمة وإلا تعثر الطفل فى نموه النفسى فينشأ وقد أصيبت شخصيته بتصدع كبير يقف حائلا بينه وبين الحياة السعيدة المثمرة.

والواقع أن أهم عنصرين يجب أن تسودهما العلاقات المتزنة فى الأسرة هما الأب والأم؛ إذ يتوقف على اتزانهما النفسى إلى حد كبير - النمو النفسى السليم لكل أفراد الأسرة ويُمكن هذا أولادهما من أن ينموا نموا سليما يحققون به النضج النفسى اللازم لحياتهم فى أثناء مراحل نموهم المتعاقبة.

والأسرة كمجتمع صغير لها وظيفة تهدف نحو نمو الطفل اجتماعيا ويتحقق هذا الهدف بصفة مبدئية عن طريق«التفاعل العائلى» الذى يحدث داخل الأسرة والذى يلعب دورا هاما فى تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه، والمقصود بالتفاعل العائلى العلاقات التى تتكون بين أعضاء الأسرة والتى يترتب عليها أن يؤثر كل فرد فى الآخر بقصد تكوين خبرات جديدة، وليس هذا التفاعل العائلى إلا ناحية ذات مجال واحد من مجالات التفاعل الاجتماعى الأخرى التى يتعامل الفرد معها.

ويختلف التفاعل الاجتماعى بمعناه العام عن التفاعل العائلى فى أن هذا النوع

الأخير من العلاقات الاجتماعية يمتاز بخصائص معينة تقوم على أسس من الود والإخاء والحرية والصراحة مع الاستمرار والدوام وتلك صفات لا نراها بوضوح فى أى علاقة اجتماعية أخرى فالطفل فى هذا الجو العائلى يتعلم كيف يعيش وفيه ينمو وتتكون شخصيته وعاداته واتجاهاته وميوله.

وهكذا نرى أنه فى كل الأحوال وتحت كل الظروف تظل الأسرة مسرح التفاعل الذى يتم فيه النمو والتعلم، والعالم الصغير للطفل الذى به تتكون خبراته عن الناس والأشياء والمواقف، كما يظل البيت حمى الطفل وملاذه الذى يلجأ اليه بلهفة وتعلق.

العلاقة بين الأم والأب:

الوالدان هما مفتاح الحياة بالنسبة للطفل إذ منهما يستمد العطف والمحبة والدفء العاطفى والأمن والأمان، ولذلك فإن كل ما يحدث أمام الطفل فى بيته ومايلاحظه ويحس به أو يسمعه يترك أثره وصداه فى نفسه فما الأبناء إلا مستقبلين لمشاعر الأمهات والآباء حبهم وقلقهم وطموحهم وعدائهم لبعضهم البعض، ولذلك فإن العلاقة السائدة بين الأم والأب تترك آثارها السوية أو المدمرة فى التكوين النفسى للطفل وفى توافقه وفى صحته النفسية نظرًا لأن الطفل أحد الذين يلمسون ويحسون العلاقة الحقيقية بين الأبوين، ولأن الطفل أحد الذين من الممكن أن يظهر عليهم آثار وبصمات طبيعة العلاقات الموجودة داخل البيت، ولأن الطفل هو الشخصية التى تظهر عليها أعراض اضطرابات العلاقات بين الأم والأب. فالعلاقات الإنسانية الطيبة بين الأم والأب من أهم العوامل التى تؤثر فى نمو الطفل انفعاليًا ونفسيًا وتخلق جوًا من الألفة والمحبة والمودة داخل البيت. والبيت الهادئ المتزن والمقبول من الطفل هو البيت الذى يتصف بالاستقرار الانفعالى ويعيش فيه الجميع فى ظل علاقة تخلو من الانفعالات الحادة والثورات المستمرة والتواترات الدائمة بين الأمهات والآباء فيشعر الطفل بالأمن والانتماء فيتمتع بحسن التوافق وبصحة نفسيه سليمة.

أما الانفعالات الحادة بين الأم والأب والشجار الدائم بينهما أمام الطفل فإن ذلك يفقده شعوره بالأمن لانه يخاف ويقلق على مصيره ومستقبله. فقد يخشى

أن يتحول الشجار إليه فيضربه أبوه أو تضربه أمه أو يقسوان عليه، وقد يظن الطفل أنهما يتشاجران بسببه فيشعر بالذنب. وكثيرًا ما يشعر بالحيرة والبلبلة بين أن ينضم لأمه أو لأبيه ويصبح فى وضع متأرجح يملؤه الخوف والقلق والإحساس بالضياع مما يفقده الثقة فيهما معًا بل وفى نفسه أيضًا وفى غيره من الناس.

والشجار الدائم بين الأم والأب يملأ قلب الطفل خوفًا من أن ينفصل أبواه فيفقد أحدهما أو كلاهما وهو فى حاجة اليهما معًا سواء بسواء كما يخشى أن يهدم البيت فتقع أنقاضه أول ما تقع على رأسه هو. ولقد أكدت ذلك بعض الدراسات التى توصلت إلى أن الأسر التى يكثر فيها المشاحنات والنزاعات بين الأم والأب تفرز للمجتمع أحداثًا جانحين أكثر مما تفرزه أسر طبيعية تتسم بالهدوء النسبى والألفة بين أعضائها. كما أن دراسات عديدة وصلت إلى نتيجة واحدة مؤداها: أن الأسر التى تفتقد بين أعضائها علاقة المودة والألفة والمحبة تدفع أبنائها إلى عدم التوافق بل والانحراف.

والطفل حساس لكل ما يدور حوله ولمعاملة كل من والديه للآخر وخاصة معاملة أبيه لأمه. وشعوره بأن العلاقة بينهما تتسم بالقسوة وعدم الألفة يدفعه إلى أن ينحاز إلى جانب أمه فتتوتر علاقته بأبيه وربما يكرهه. وفى هذه الحالة يعانى الطفل من صراع نفسى مؤلم لأنه يشعر أنه فى حاجة إلى محبة أبيه والاقتراب منه والتشبه به، ولكن تشاجره المستمر مع أمه يقف حائلاً دون تحقيق ذلك.

ومن ثم فإن الخلافات والمشاحنات المستمرة بين الأم والأب وفقد كل منهما لاحترام الآخر وافتقاد الألفة والمحبة بينهما يؤدى بالضرورة إلى اضطراب الأمن وفقد الهدوء النسبى داخل البيت لأنه قد حل الشقاق محل الوفاق فانعكس ذلك على الطفل الذى فقد الأمن والأمان واكتسب التوتر والقلق.

ثانيا: علاقة الأم بالطفل:

يُعتبر تعلق الأم بالطفل وتعلق الطفل بأمه أثناء فترة الرضاعة الأساس الذى تبنى عليه العلاقات الأسرية بينهم فى المستقبل. وربما كانت أهم العلاقات التى ينشأ فيها الطفل وخاصة فى السنوات الأولى من حياته علاقته بوالديه وعلى الخصوص علاقته مع أمه حيث تبدأ هذه العلاقة منذ اللحظات الأولى لحياته،

وتبدأ هذه العلاقة بالحب والشعور بالأمن، وتنمو هذه المشاعر بنمو الطفل وازدياد توثق علاقته بأمه عندما تُطل عليه بوجهها الحنون لتطعمه من جوع وتخفف عنه ما يضايقه فيشعر بحبها له مما يجعله يُظهر حبه لها أيضًا فيربت على جسمها ويضربها ضربًا خفيفًا ويعانقها ثم بعد ذلك يلاحظ التعبير على وجهها ويبدأ فى مداعبتها اعترافًا بفضلها وإظهارًا لحبه لها مما يشبع حب الأم والطفل وسرورها. فالأم ترتبط بكل شىء مشبع وسار ومحبب للطفل والرباط الذى ينشأ بينهما هو أقوى وأهم من أى رباط آخر قد يكوّنه الطفل فيما بعد. ولذلك فإن ابتعاد الطفل عن أمه ولو لبعض الوقت يعتبر أمرًا مزعجًا بالنسبة إليه.

فلقد أوضح باحثان كيفية ابتعاد الأطفال والأولاد الصغار عن أمهاتهم حيث أجرى الباحثان تجربتهما على أطفال تتراوح أعمارهم ما بين ثمانية شهور وخمس سنوات. وتمت التجربة فى أماكن تشبه جو المنزل حيث جلست الأمهات فى غرفة وأمامهن حديقة خارجيه، وكان الأطفال أحرارًا فى التحرك بعيدًا عن أمهاتهن. ولقد وجدا الباحثان أنه كلما كان الطفل أكبر سنًا كانت المسافة التى يبتعد بها عن أمه أثناء لعبه مسافة أطول كما كان الأطفال يتجولون ويلعبون ثم يعودون إلى أمهاتهم وبعد ذلك يذهبون مرة أخرى وكأنهم بذلك يُريدون التأكد من وجود أمهاتهم فى أماكنهم الأصلية. فالأطفال تعودوا على رؤية أمهاتهم ووجود الأم مقترن بإشباع الحاجة إلى التغذية وتوفير الراحة، بينما غياب الأم يشعر الطفل بالمحنة والأسى لأن تقديم الطعام وتوفير الحنان للطفل لن يتحقق له فى غياب الأم. فالعلاقة السامية بين الأم وصغيرها تشعره بأن حاجاته البيولوجية والنفسية قد أشبعت فيشعر بالراحة النفسية مما يؤثر على توافقه وعلى صحته النفسية فى حياته المستقبلية.

ويقوم الأب بدوره كسند انفعالى للأم يساعدها على الاحتفاظ بذلك المزاج الهادئ الآمن فى الجو الذى يترعرع فيه الطفل بما يمدها من حب وصحبة وتوافق فيشعر الطفل فى بيته بالراحة والسكن والاستقرار النفسى وكلها عوامل ممهدة لتوافقه النفسى ولصحته النفسية.

وتوضح إحدى الدراسات الدور الذى تقوم به الأم فى تنشئة الطفل حيث

تعمل على إكسابه السلوك الاجتماعى المقبول منذ عامه الأول والذى يزداد تنظيمًا مع عامه الثانى ومع بداية تعلمه اللغة واستمرار نموه. وتبدأ الأم بالحد من السلوك الذى كان يعتبر سلوكًا مقبولاً من قبل حيث تبدأ بمنع الطفل من القيام بالحركات التى كان يقوم بها قبل ذلك فلا تسمح له أن يلوث نفسه بغذائه بل تبدأ فى تعليمه النظافة. وعندما يمارس الطفل نشاطه فى الحركة أو يستطلع بسرور ما تحتوى خزانة الأوانى من صحون وأدوات أو ربما يتناول عقب سيجارة ليمضغه عندئذ نجد الأم يتعالى صوتها بكلمة «لا» أثناء هذا السلوك أو ذاك، لا تفعل هذا، لا تقم بهذا. وربما نجد الأم تحتضن الطفل وتدلله وتغدق عليه الثناء وخاصة حينا يُظهر براعته فى استعمال الملعقة أو عندما يسمى شىء ما باسمه أو عندما يقوم بترديد بعض الكلمات أو عندما يكون نظيفًا أو يسلك سلوكًا مقبولاً معها. وهكذا تكون عملية تنشئته الاجتماعية قد بدأت مع أمه حيث تعمل على تعليم طفلها السلوك المقبول وقواعد الحياة الاجتماعية، ويتم ذلك بتوجيه الطفل وإقناعه بالسلوك المقبول اجتماعيًا، كما أن الأم تكون قدوة له فيعتبرها الأنموذج الذى يكتسب منه السلوك المتوافق.

وعلاقة الثقة التى تقوم بين الأم وطفلها تساعد على توافقه فقد تنجح بعض الأمهات فى أن يكن مؤتمنات على أسرار أطفالهن نتيجة لما بينهن وبين أطفالهن من علاقات طيبة.

ففى إحدى الدراسات صرح عدد من الجامعيين أنه عبر مراحل نموهم المختلفة كانت أمهاتهم تُصغى إليهم عندما كانوا يعودون من المدرسة. كما أن أغلب الأولاد والبنات كانوا يثقون فى أمهاتهن أكثر من ثقتهم فى آبائهن، وقد يعود ذلك إلى دور الأب التقليدى كحامى للأسرة ومُنفذ للنظام فيها وكنتيجة لهذه الدراسة تبين أن الأطفال الذين يشعرون براحة نفسيه ناتجة عن ثقتهم فى أمهاتهم أظهروا توافقًا نفسيًا أفضل من الأطفال الذين لا يثقون فى أمهاتهم. فقد ارتبط توافقهم النفسى باستقرارهم الأسرى وسلوكهم الاجتماعى المقبول وسمات شخصيتهم المرغوبة. وهناك دليل وإن كان غير قاطع يوضح أن الأطفال المتمردين فى مدارسهم غالبًا ما يكونوا قادمين من بيوت لم يكن فيها علاقة ثقة بين الأمهات والأبناء.

أساليب معاملة الأم للطفل[1]:

تلعب الأم داخل نطاق الأسرة دورًا هامًا فى إعداد طفلها للحياة فى المجتمع الكبير وتقدم له من خبراتها وسلوكها وأعمالها النماذج السلوكية التى عليه أن يتقمصها ويتشربها. كذلك تزود الأم طفلها بالقيم والتقاليد والاتجاهات التى عليه أن يؤمن بها ويعمل معها ويدافع عنها، ولذلك تُعتبر أساليب معاملة الأم لطفلها ذات أثر هام فى تكوينه النفسى والاجتماعى فإذا كانت معاملة الأم تقوم على إثارة مشاعر الخوف وانعدام الأمن النفسى لدى الطفل فى العديد من المواقف فلن ينتج عن ذلك إلا إثارة مشاعر الاضطراب فى نفسه وإعاقة نموه النفسى بل وتأخر نموه فى جوانب مختلفة.

وعلاقة الأم بالطفل تعتمد على أساليب معاملتها له أثناء تنشئته الأسرية والتى تتضح من خلال أنواع متباينة من المعاملات كالحب والقسوة والشدة والتسامح والنبذ والإهمال. ولقد برزت هذه الأساليب من خلال العديد من الدراسات التى اعتمدت على الملاحظة وغيرها فى دراسة سلوك الأمهات عندما يتعاملن مع أطفالهن ومدى القيود والحدود المفروضة من الأم على سلوك طفلها أو مدى العلاقة العاطفية التى تربط بين الأم والطفل.

ويمكننا القول أن جوانب الحب عند الأم هى أكثر ثباتًا واستمرارًا من جوانب التحكم فى الطفل. وإضافة إلى هذه العوامل أكد الباحثون على أهمية منهج التأديب والتوجيه الذى تتبعه الأم مع طفلها، وعلى مدى التزام الأم باتباع هذا المنهج والذى يشتمل على أمور عدة مثل استخدام أسلوب إقناع الطفل وإفهامه بما يجب أن يسلكه وذلك مقابل وجود عقوبة جسمية إذا لم يلتزم. كما يشتمل هذا المنهج أيضًا على استعمال أسلوب الحب وحرمان الطفل من هذا الحب أو جلب الهدايا للطفل أو منعها وحرمانه منها. كما أن جانب التأديب لا ينفصل عن جانبى الحب والتحكم كما ترتبط الشدة والقيود بأسلوب السيطرة والتشدد بينما يرتبط الحب والحنان بأسلوب الإقناع والملاينة عند الأم.

---

(١) انظر محمد بيومى حسن (١٩٩٣): التغير والاستمرارية فى أساليب الرعاية الوالدية بين مرحلتى الطفولة والمراهقة. المؤتمر التاسع لعلم النفس فى مصر، الجمعية المصرية للدراسات النفسية.

ونستعرض فيما يلى بعض أساليب معاملة الأم للطفل.

١ ـ أسلوب المحبة:

يُعتبر أسلوب المحبة عاملاً هامًا فى عملية تنشئة الطفل تنشئة سوية وذلك لعدة أسباب منها:

* يُحب الطفل أن يكتسب ود والديه وخاصة أمه ويخشى الحرمان من وجود الأم الحنونة أو الأب الحنون، وإن كانت عملية تنشئة الطفل لا تتأثر كثيرًا بأسلوب تهديده بالحرمان من المحبة عندما تكون الأم لا تقدم المحبة والحنو لطفلها لأن الطفل فى هذه الحالة لن يفقد شيئًا.

* كما نجد فى أسلوب المحبة أن الأم تستخدم كثيرًا من طرق الإفهام والإقناع مع الطفل مما يساعده على إدراك النظم والقواعد الاجتماعية والأساليب المقبولة وبالتالى يصبح الطفل قادرًا على الحكم على سلوك معين إذا كان سلوكًا لائقًا أو غير لائق، مقبول اجتماعيًا أو غير مقبول، ويمكن أن نوضح ذلك بالموقف التالى:

طفل يمد يده لتناول قطعة أخرى من الحلوى فتقول له أمه: «لا» ثم توضح له لماذا قالت «لا» حين تستطرد لتقول له: إنْ أخاك لم يأخذ قطعته ولم تبق إلا قطعة الحلوى هذه. وبهذا يمكن للطفل أن يدرك الظروف التى لا يمكن له أن يأخذ قطعة حلوى أخرى، وسيدرك مستقبلاً أنه يمكنه أن يأخذ قطعة أخرى من الحلوى إذا رأى أن الجميع قد أخذوا حلوى وبقى عدة قطع زائدة. وقد تقول أم الطفل لتقنعه أكثر: إن أخاك سيشعر أنه مظلوم إذا لم يحصل على قطعته ومن هنا يعرف الطفل ما يشعر به الإنسان فى مثل هذه الظروف وقد يؤدى هذا إلى اهتمامه بسعادة الآخرين.

هذا الموقف نقيض لموقف أم متشددة تنهى طفلها قائلة له: «لا» لا تأخذ قطعة أخرى من الحلوى. هنا لا يدرى الطفل لماذا؟

- هل لأن تناول الحلوى ضار؟
- هل لأن الأكل باليد أمرغير مستحب؟
- هل هو طفل سيئ ولذلك تعاقبه أمه؟

والحقيقة أن الحب أفضل من القسوة والعقوبة والتشدد أثناء تنشئة الطفل أو

ضبط سلوكه ذلك لأن الطفل يجب عليه أن يطيع أوامر الأم الحنون التى قدمت إلى الطفل أسلوب السلوك المقبول والذى يمكن أن يسلكه بعد ذلك. كما أن حنان الأم وعنايتها ترتبط بإحساس الطفل بالأمن والطمأنينة وبتقديره لذاته، وهذه أمور تزيد من قدرة الطفل على تعلم السلوك المقبول اجتماعيًا بينما التوتر والقلق الناتجين من القسوة والشدة كنوع من أساليب معاملة الأم الخاطئة لطفلها يؤدى إلى عدم توافق الطفل مع الكبار حوله مما يؤثر تأثيرًا سيئًا على صحته النفسية.

٢ ـ أسلوب القسوة:

تتصف بعض الأمهات بالقسوة الشديدة فى معاملتهن لأبنائهن، وتأخذ هذه القسوة مظاهر مختلفة منها العقاب البدنى، العقاب اللفظى، والشدة المتناهية، الأوامر والنواهى، المعارضة لرغبات الطفل، المنع والقهر والإجبار، وتحمل الطفل من المسئوليات أكثر مما يتحمل أو يطيق. والأمهات صاحبات أسلوب القسوة على الأطفال قد نجدهن فى كل الطبقات الاجتماعية وقد يكن غير متعلمات أو عاطلات عن العمل أو غير مستقرات اقتصاديًا. وليس معنى ذلك أن قسوة الأم فى معاملة طفلها ترتبط بالطبقات الفقيرة فقط إن ذلك قد يحدث أيضًا فى الطبقات الغنية أو فى الطبقات المتوسطة إلا أن سوء معاملة الأمهات لأبنائهن لا ينكشف أمرها نظرًا لأن مثل هذه الطبقات لها من يحفظ أسرارها من الأطباء الخصوصين بينما نجد فى الطبقات الفقيرة تخضع مثل هذه المواقف لطلب العون من الأماكن العامة كالشرطة والمستشفيات الحكومية.

وعندما تزداد المشاحنات بين الأم والأب ويغيب الاستقرار الأسرى تزداد معاملة الأطفال سوءًا وقد نتعجب إذا وجدنا أن أمهات هؤلاء الأطفال هن مصدر بؤسهم وضيقهم؛ ذلك لأن الأم غالبًا ما تكون الشخصية المعاصرة لمشاكل الطفل داخل الأسرة كما أنها تقضى مع الطفل وقتًا أطول مما يقضيه معه أحد من أفراد أسرته الآخرين. ومثل هذه الأم قد تسىء معاملة طفلها؛ لأنها لاقت معاملة سيئة فى طفولتها وبالتالى تصبح سوء المعاملة متوارثة من جيل إلى جيل.

وفى بعض الأحايين قد تعود أساليب القسوة التى تستخدمها بعض الأمهات مرجعها إلى نظرة هؤلاء الأمهات إلى العقاب. على أنه وسيلة هامة من وسائل

تنشئة الطفل وإكسابه السلوك السوى وتعويده على الطاعة والنظام ومنعه بالقوة من ارتكاب الأخطاء. وقد يقلع الطفل عن السلوك الذى عاقبته عليه أمه إلا أنه قد يمارسه بعيدًا عنها وفى غيابها.

والحقيقة أن الأم الحنون أقدر على ضبط سلوك طفلها من الأم القاسية لأن أسلوب العقوبة الصارمة يؤدى إلى خيبة أمل الطفل وغضبه من أمه. كما تصبح الأم القاسية نموذجًا وقدوة للطفل فى إكسابه السلوك العدوانى بل قد يشعر الطفل بقوة النقمة والغضب من أمه بسبب إهانتها له والسخرية منه مما يؤدى إلى سوء توافقه.

٣ ـ أسلوب التسلط:

يتمثل هذا الأسلوب فى فرض الأم لرأيها على طفلها بدون رغبته سواء تم ذلك بالأوامر والنواهى والتهديد والضرب أم تم ذلك باللين والمحايلة والإلحاح. وقد يعود هذا الأسلوب فى المعاملة إلى التربية الصارمة التى خبرتها الأمهات فى طفولتهن، ومحاولة تطبيقها على أطفالهن ظنًا منهن أنها الأسلوب الأمثل فى تربية الطفل وإعداده لمواجهة صعوبات الحياة وتحدياتها.

وقد يعود هذا الأسلوب المتسلط الى فشل الأم فى تحقيق مستوى طموحها الذى كانت تسعى إليه علميًا أو اجتماعيًا ولذلك تحاول أن تُعوض ذلك فى أبنائها وتنشد الكمال فيهم.

والأمهات المتسلطات لا يشعرن بأنهن ملتزمات بشرح أسباب توجيهاتهن وأوامرهن لأبنائهن لأنهن ينظرن إلى طاعة الأبناء على أنها فضيلة. وقد يتخذن هذا الموقف لأنهن لا يردن أن يتحملن مشقة الشرح أو ملل المناقشة والإقناع مع الأبناء. كما أن بعض الأمهات المتسلطات يفضلن هذا الأسلوب فى تربية الطفل لاعتقادهن أن هذه هى الطريقة المثلى كى يحترم الأبناء سلطة الأمهات والآباء إلا أنهن بهذا الأسلوب يرتكبن خطأ كبيرًا هو أنهن بقمعهن التذمر لا يقضين عليه بل يشجعونه. ويتفاوت تسلط الأمهات على الأبناء تفاوتًا واضحًا:

ـ فهناك الأمهات المستبدات اللاتى يأمرن أطفالهن بما يجب أن يفعلونه.

- وهناك الأمهات المستبدات اللاتى يعطين لأطفالهن حرية المشاركة فى المناقشة معهن ولكن ليس إلى الحد الذى يسمحن فيه لأبنائهن بالمشاركة فى اتخاذ القرارات.

- وقد تكون الأمهات أقل تسلطًا فيسمحن للأبناء بالمساهمة بحرية فى مناقشات تتعلق بأمورهم وسلوكهم وقد يسمحن لهم باتخاذ القرارات ولكن الرأى الأخير يكون للأم.

- وهناك الأمهات الديمقراطيات اللاتى يؤمن بالمساواة بينهن وبين أبنائهن حيث يوجد حد أدنى من التمييز بين دور الأم ودور الابن.

- وهناك الأمهات المتساهلات حيث يميل الميزان فى إتخاذ القرار لصالح الأبناء.

- وهناك سياسة عدم التدخل حيث بامكان الابناء أن يُقروا آراء أمهاتهم أو يتجاهلونها.

وينطوى الانتقال من المرحلة الاستبدادية إلى مرحلة عدم التدخل من قبل الأمهات على زيادة تدريجية فى مشاركة الأبناء فى توجيه أنفسهم، والتناقص المستمر فى إشراك الأمهات فى اتخاذ القرارت الخاصة بالأبناء. وأوضحت بعض الدراسات أن أبناء الأمهات الديمقراطيات يكونون فى الغالب واثقين من أنفسهم ويقدرونها حق قدرها ويشعرون بالاستقلال وبالمسؤولية، وغالبًا ما يشعرون أنهم مرغوب فيهم وبأن أمهاتهن يعطينهم حرية كافية كما يعتبرون الأم عادلة ومعقولة فى أفكارها وأحكامها ومبادئها؛ ولذلك فإن المعاملة الديمقراطية التى تمارسها الأم مع أبنائها بما تحمله من قلق مقبول على مصلحة الأبناء لاقت قبولاً واسعًا منهم، بينما لاقت السيطرة التعسفية من الأمهات على الأبناء الرفض وعدم القبول وأدت بعض الأحيان إلى مشاعر الغضب والتمود من الأبناء فى اتجاه أمهاتهم.

٤ ـ أسلوب الحب الزائد:

من أساليب التربية الخاطئة للأمهات الحب الزائد للأبناء الذى يقود إلى الإفراط فى التسامح والتساهل من قبل الأم. ويتولد عن الحب الزائد استقلال

الطفل بلا حدود وتمتعه بحرية مطلقه مما ينتج عنه فقد شعوره بالأمن لأن هذا يعنى تنازل الأم عن سلطانها عليه مما يشعره بالبلبلة والارتباك. وإذا كان التسامح نوعًا من الحب إلا أن الإفراط فيه أو الافراط فى الحب يأتى بنتائج عكسية لأن الحب يجب أن تعطيه الأم لطفلها بمقدار.

ويذكر أحد الباحثين أن الأم المتساهلة تحب أبنائها حبًا كبيرًا وتترك لهم الحبل على الغارب وتتبنى مبدأ المساواة المبالغ فيه معهم وتنادى بمبدأ الحرية الفردية والمطلقة داخل الأسرة وقد يعود هذا الأسلوب الذى تتبعه الأم إلى التوتر الدائم والنزاع المستمر بينها وبين الأب وإلى الحياة الزوجية غير المتوافقة بينهما مما يؤدى إلى تنافس كل منهما فى اكتساب محبة الابن وضمه إلى صفه فيغدق عليه محبته الزائدة. ولقد أوضحت إحدى الدراسات أن بعض أمهات الأحداث المنحرفين اللاتى كن يشعرن بانعدام الأمن وانعدام الاستقرار الأسرى وسوء التوافق الزواجى كن يقلقن قلقًا شديدًا على أبنائهن مما يرفعهن إلى الافراط فى فى إرضائهم وإجابة كافة رغباتهم فى التو واللحظة.

وقد يعود هذا الحب الزائد الذى تستخدمه الأم مع ابنها إلى وفاة الأب أو كثرة تغيبه وأسفاره مما يدفع الأم إلى تكريس كل وقتها للاهتمام بطفلها وعطفها عليه عطفًا زائدًا حتى تعوضه عن حرمانه من أبيه وعطفه.

وقد يعود هذا الحب الزائد الذى يحظى به الطفل إلى أنه الطفل البكرى أو الطفل الأخير آخر العنقود أو الطفل الوحيد أو لكونه طفل ذكر وباقى إخوته بنات أو لكونه بنتًا وباقى أخواتها ذكور فيحظى الطفل من الأم بالعطف الكبير والرعاية المبالغ فيها والتسامح الذى بلا حدود.

وقد يعود هذا الأسلوب الذى تقوم به الأم تجاه طفلها كنتيجة تعويضية لما بين الأم والأب من مشاجرات وخلافات فيشعر أحد الوالدين أو كلاهما بكراهيته لطفله لأنه الرباط الباقى بين الأبوين والذى يمنعهما من الانفصال والتخلص من سوء توافقها الزواجى. ولما كان كره أحد الوالدين لطفله أمرًا غير مقبول بالنسبة للأمومة الرشيدة أو للأبوة الحانية فإن الأم أو الأب يكتبان كراهيتهما للطفل ويظهران له الحب بل ويبالغان فيه.

وقد يعود أسلوب الحب الزائد الذى تتبعه الأم مع طفلها كنتيجة لتقمص الأم لسلوك والديها عندما كانت صغيرة ـ فالأم التى كانت تحظى بعناية فائقة من والديها نجدها تسلك نفس السلوك مع طفلها فتشعر باستمرار نمط السلوك الذى اعتادته منذ طفولتها.

وينتج عن هذا الحب الزائد والتدليل والتسامح الذى بلا حدود والذى تتبعه الأم تجاه طفلها إجابتها لمطالبه جميعها وإغداقها المال عليه مما قد يدفعه إلى التدخين ومصاحبته لرفاق السوء وقضاء وقته فى المعاكسات التليفونية. كل هذه الحرية المطلقة التى بلا حدود وبلا رقيب وبلا توجيه من الأم تترك آثارها الخطيرة والمدمرة على نمو شخصية الطفل وعلى تكوينه النفسى وعلى تسليم قيادته إلى غيره من رفاق السوء فيصبح شخصية ضعيفة عاجزة غير متوافقة.

٥ ـ أسلوب الإهمال:

إذا كان الحب هو العلاقة الإنسانية الأولى فى محيط الأسرة بين الأم والطفل والعامل الأول فى تكوين اتجاهات موجبة نحو الحياة، فإن حرمان الطفل من حب أمه وشعوره بإهمالها يؤدى إلى عدم قدرته على التكيف للوسط الذى يعيش فيه مما يؤدى إلى تعلمه أنماطًا سلوكية غير سوية مضادة للمجتمع وتؤدى به إلى سوء التوافق.

فقد تسلك بعض الأمهات مع أبنائهن ألوانًا عديدة من السلوك كعدم استجاباتهن لأسئلتهم أو إشباع حاجاتهم مما يجعل الأبناء يشعرون بأنهم مهملون من قبل الأمهات أو غير مرغوب فيهم. وشعور الطفل بالإهمال يجعله يشعر بعدم الأمن والأمان بل ويصبح فى حالة دائمة من التوتر والاضطراب. بل نجد الكثير من الأبناء الذين تعرضوا للإهمال من أمهاتهم يعملون على قضاء الكثير من أوقاتهم خارج بيوتهم ويتأخرون فى العودة إليها بحثًا عن شلة من الرفاق يشعرون بين جنباتها بالانتماء والمحبة والألفة.

فالنزاعات المستمرة والمشاحنات الكثيرة بين الأم والأب ربما يكون من نتائجها انصراف الأم أو الأب عن الرغبة فى الطفل لأن كلاً منهما يرى فيه صورة الطرف المكروه. كما أن وجوده يزيد من ربط الحياة الزوجية غير المرغوب فيها وقد يدفع

ذلك الأم أو الأب إلى أن ينفر من الطفل ويهمله.

وقد يعود إهمال الأم لطفلها إلى كثرة الأبناء فى الأسرة وخاصة فى الأسر الفقيرة حيث يكثر عددهم وتزداد مطالبهم دون قدرة الأم على تلبية حاجاتهم. كما أن المشاكل الانفعالية المتزايدة داخل نطاق الأسرة تفقد الطفل الرعاية والعناية وتجعله يشعر بالإهمال.

كما أن إنشغال الأب بتجارته أو بكثرة أسفاره قد يدفع الأم لأن تهمل أطفالها لعدم قيامها بدور الأمومة كاملاً تجاههم، فنجدها تقضى الوقت الطويل فى التحدث بالتليفون مع صديقاتها أو فى مجالسة جاراتها أو فى مشاهدة الفيديو والتليفزيون ضاربة عرض الحائط بالأمومة وواجباتها. ويؤدى أسلوب الإهمال إلى فقد الرقابة على الأبناء سواء من الأم الضعيفة أمامهم أو من الأب المشغول عنهم فلا يجد الأبناء من يحاسبهم أين يذهبون ولا متى يعودون ولا أين يقضون أغلب الليالى والأمسيات. ومن هذا المنطلق نرى أن الأم لها دورها الهام فى النمو الشخصى والنفسى للطفل بما تتبعه من أساليب تربية سوية أو خاطئة يحس بها الطفل ويكون لها الأثر الكبير فى إفراز أطفالاً للمجتمع متوافقين اجتماعياً أو غير متوافقين من الوجهه الاجتماعية والنفسية. وسوف نلقى الضوء فيما يلى على الطفل المتوافق اجتماعياً ومظاهر هذا التوافق.

الطفل المتوافق اجتماعياً:

كلمة اجتماعى تُشير إلى العلاقة التى تقوم بين الفرد وغيره من الأفراد خاصة أمه ثم أبيه ثم أخوته وأخواته والمحطين به والتى ينتج عنها تغيرات فى سلوك الطفل نحو الآخرين حوله.

والتوافق الاجتماعى عبارة عن العملية التى يكتسب الطفل بها القدرة على الاستجابه لمطالب المجتمع الذى يعيش فيه ولما يتوقع منه ويعهد به إليه، ويتعلم أن يسلك على نحو ما يسلك سائر أفراد هذا المجتمع، والتوافق الإجتماعى وسيلة التربية فى تنشئة الأطفال على نحو يجعلهم أعضاء صالحين فى المجتمع الذى ينتمون إليه، فما أن يشرع الطفل فى أن يحيا حياته حتى يواجه المحيطون به خاصة

أمه بمستويات السلوك فى ميادين تناول الطعام والتخلص من الفضلات وبالحواجز يقيمونها فى وجه ما قد يأتيه من سلوك عدوانى بالقول أو بالفعل، وتستمر هذه المستويات فى المدرسة ويزداد عددها لتغطى ميادين أخرى كحدود الحركه داخل حجرة الدراسة، وكلما زاد نمو الطفل تعقدت العلاقة القائمة بينه وبين المحيطين به وازدادت مطالبهم له بضبط نفسه والتحكم فى سلوكه وثمرة ذلك هو التوافق الاجتماعى للطفل الذى يجعل منه عضوا صالحاً فى المجتمع الذى ينتمى إليه، وقد ثبت من ملاحظة سلوك الأطفال وما تعلموه من وسائل التوافق الاجتماعى ومن الأبحاث التى قدمت عن علاقة التوافق الاجتماعى بماضى الفرد فى أسرته أنه من السهل انتقال أنماط السلوك الاجتماعى الذى تعلمه الطفل فى محيط أسرته إلى مواقف الحياة كلها.

ومجتمع الأسرة هو أول مجتمع يصادف الطفل لذلك فهو يلعب دورا هاماً فى تشكيل سلوك الطفل وعاداته وإشباع حاجاته وأثر ذلك على توافقه. فالطفل كائن اجتماعى ينمو فى إطار اجتماعى منذ اللحظة الأولى لولادته وتعتبر الأم أهم عامل فى عملية تنشئته الاجتماعية كذراعين قويين دافقين وثديين موفورين بالغذاء ومصدرا لاشباع حاجاته فيصبح هادئا سعيداً متوافقاً. أما إذا فقد الطفل شيئا من هذا فإنه ينزعج. ويقلق ويبدو له المجتمع على أنه مكان غير آمن فتنعدم راحته ويقل نومه ويسوء توافقه.

ومجتمع الأسرة يعاون الطفل فى إحساسه تجاه المجتمعات الأخرى التى سوف يتعامل معها، فإذا أصبح مقبولا من مجتمع الأسرة فإن ذلك معناه أنه سيكون مقبولا من المجتمعات الأخرى، كما سيعاونه مجتمع الأسرة على تفهم مختلف أنواع الناس وذلك خلال اتصاله بأقاربه وجيرانه، وهو يتعلم أن يتقبل النقد والاقتراحات وكيف يتوافق مع الآخرين ويعرف حدود المعاملة معهم وذلك من الجماعات المشابهه له فى السن والمستوى العقلى. ويدرك الأطفال أهمية توافقهم لظروف المجتمع وما لهذا التوافق من أثر بالغ على شخصياتهم وقد يغلب على اسلوب توافقهم للمجتمع المحيط بهم وما يعرضه عليهم من مطالب واحد من أنماط التوافق الرئيسيه الثلاثه التالية.

أ ـ التقبل الكامل لمتطلبات المجتمع المحيط بهم، فقد يتقبل الأطفال الأنماط السائدة فى المجتمع تقبلا كاملا ويحاولون حث غيرهم من الأطفال على اتباع نفس الأسلوب، وهؤلاء الأطفال واقعيون فى نظرتهم ويؤدى تقبلهم الكامل لهذه المعايير الاجتماعيه إلى أن تصبح جزءاً لا يتجزأ من تكوينهم النفسى وبالتالى جزءاً متكاملا من نمط سلوكهم.

ب ـ التردد فى تقبل متطلبات المجتمع فقد يتردد بعض الأطفال فى تقبل معايير السلوك السائدة بين الجماعات التى ينتمون إليها خارج الحضانه أو المدرسة ولكنهم فى الوقت ذاته يحسون برغبه طبيعية فى المشاركه فى أوجه النشاط التى تقوم بها هذه الجماعات وعندما يواجه هؤلاء الأطفال بهذا الصراع فإنهم قد يبقون على هامش هذا النشاط أو يتجنبوه لفترة من الوقت، وعندما تتغلب رغبتهم فى تقبل الجماعه على ترددهم فكثيرا ما يدفعهم هذا إلى الانغماس الكلى فى حياة الجماعة متأثرين بشكل أعمى بأن نمط من أنماط السلوك التى تحقق تقبل الجماعه لهم.

جـ ـ نبذ ما يفرضه المجتمع عليهم، فقد ينبذ الأطفال ما يعرض عليهم المجتمع من متطلبات بالعزوف عن الاشتراك فى النشاط مع جماعات اللعب فى الجيره ويحدث هذا فى البيئة التى يحرص فيها آباء الأطفال حرصا زائداً على عدم اشتراك أبنائهم فى أى نوع من الألعاب إلا إذا كفلت لابنائهم الطمأنينة والسلامة بالشكل الذى يرتضونه، ويحدث هذا أيضا فى البيئات التى تتميز بالقلق وعدم الاسقرار. ومهما يكن من أمر هذه الأسباب فإن إعراض الأطفال عن الاشتراك فى الحياة الاجتماعيه يعنى فى واقع الأمر انسحابهم وعدم قدرتهم على التوافق لمقتضيات الموقف الذى يواجهونه، ويمكن القول: أن نجاح الطفل فى علاقاته مع أسرته ومع أصدقائه وزملائه تعتمد على مدى توافقه الاجتماعى أى الوصول إلى مستوى معين من النضج فى علاقاته الاجتماعيه. ويشتاق الطفل إلى الاستمتاع بالحياة الاجتماعية التى تحيط به وإلى المساهمة فيها بنشاط إيجابى، إنه فى حاجة إلى خبرة واسعة وفهم عميق وحب متبادل كى يتعلم كيف يعيش ويتعامل مع غيره ويستطيع معظم الأطفال التعامل مع الراشدين بمهارة قبل أن يتعلموا كيف يتعاملون مع زملائهم، وكثيرا ما يلجأ الصغار إلى الراشدين ليتخذوهم مثلا أعلى فى

تعاملهم مع زملائهم ويزداد النشاط الاجتماعى للأطفال بعد سن الثالثة ويمتد إلى فترة طويلة، وفى سن الخامسة يكون الأطفال مجموعات من خمسة أو ستة أطفال ولكنهم غالبا ما يفضلون ألا تزيد المجموعة عن ثلاثة وفى هذا السن يلجأ الأطفال للعب مع من هم أصغر سنا وذلك أفضل عندهم من اللعب بمفردهم.

أهم مظاهر التوافق الاجتماعى للطفل:

يُسفر الطفل فى تعاونه ومكانته الاجتماعية وعطفه وحنوه وزعامته وصداقته ولعبه من تآلفه مع الأفراد والجماعات بينما يسفر عناده ومنافسته ومشاجرته ومكايدته عن نفوره الاجتماعى وسنحاول فيما يلى توضيح مظاهر الألفه ومظاهر النفور عند الطفل كمثالين للتوافق وسوء التوافق لديه.

أولاً: الألفه كمظهر من مظاهر التوافق الاجتماعى للطفل وتتضح فى المظاهر التالية:

١ـ التعاون:

يميل الأطفال الصغار إلى التعاون والصداقه فيما بينهم أكثر من ميلهم إلى المنافسة والعداء، وتتفاوت نسبة الاستجابات الوديه وغير الوديه من طفل إلى آخر حسب المواقف المختلفه، وقد لوحظ فى إحدى الدراسات على أطفال أعمارهم حوالى خمس سنوات أن استجابات الأطفال فى هذه السن ودية أكثر منها عدائية، كما أن هناك علاقة هامة بين الاعتماد على النفس ومدى المساعدة التى يبديها الطفل فبتقدم السن يصبح الأطفال أقل اعتمادا على الكبار وأكثر مساعده فى علاقاتهم مع الأطفال وتدل هذه النتيجة علي أن احتمال السلوك الودى والتعاونى بين الأطفال ربما يكون أقوى من السلوك الأنانى فكلما أعطينا الطفل فرصه ليختلط بالأطفال الآخرين فإنه سيتعلم كيف يتعاون معهم، والجدير بالذكر أن الطفل فيما بين الثانية والثالثة ذاتى المركز يدور حول نفسه، صعب المراس لكنه يتطور بعد ذلك فى سلوكه فيتعاون مع الراشدين ويصادقهم وهو بسلوكه هذا يقترب اقترابا واضحا من الجماعة التى يحيا فى إطارها.

٢ـ المكانة الاجتماعية:

يتصل الطفل بالجماعه ويدرك نفسه فى إطارها متميزا عن الاخرين وهكذا تبدأ فكرته عن نفسه فى سنى المهد والطفولة المبكرة وتستطرد فى تغيرها وتحولها خلال مراحل الحياه المتعاقبه فيمتد بذاته خارج إطارها الشخصى ليجذب انتباه الآخرين، ويهدف من ذلك إلى أن يكون موضع إكبار الآخرين وإعجابهم فيحاول أن يقترب بسلوكه منهم ليؤكد مكانته الاجتماعيه وهو لذلك يهتم بجذب انتباه الكبار ثم ينثنى بعد ذلك ليجذب انتباه الأطفال، وتتصل المكانة الاجتماعيه من قريب بالاعتماد على النفس لاتصالها الوثيق بتأكيد الذات، ويستطيع الطفل أن يعتنى بنفسه ولكنه يحتاج أحياناً إلى معونة الآخرين.

٣ـ العطف والحنو:

يدرك الطفل مظاهر الفرح التى تبدو على أوجه الناس قبل أن يدرك مظاهر الألم فهو فيما بين الثانية والثالثة لا يتأثر بمنظر الجروح أو بالمظاهر التى تدل على الألم والحزن ويتأثر بعد الثالثة بصور الحزن والألم على أسراره والسيطرة على العلل الكامنة وراء الأشياء والحوادث وبالتالى النمو الحركى والعقلى وأن هذا النشاط هو الذى يمثل دور الفاعلية فى العالم الخارجى الذى يقابل به الطفل قابليته وسلبيته فى الحياة والذى يكمل به معلومات وتجارب عالمه الذاتى التى هى فى حاجة إلى الازدياد باستمرار.

كما وجد بياجيه أن الطفل فى جريه على قواعد اللعب فى المرحلة من ٢ إلى ٥ سنوات يدرك قواعد اللعب على مثال ما يراه حوله إلا أن حاله فى ذلك لا تعدو أحد أمرين؛ إما أن يلعب بمفرده وإما أن يشترك مع الأخرين اشتراكا سطحيا لا يبالى فيه اللاعبون من كسب أو خسر، أى أن هذه المرحلة مرحلة تقليدية ذاتية المركز مركزها ذات اللاعب دون النظر إلى قواعد مشتركه.

ويختلف نظام اللعب وقواعده على حسب اختلاف أعمار الأطفال، فنجد الأطفال دون الرابعة منهم لا يجمعهم لعب منظم وإنما يكتفون غالباً بالجرى وراء رفقائهم الأكبر منهم سنا وبمحاوله تقليدهم فيما يعملون، أما من كانوا بين الخامسة والعاشرة فيظهر أنهم فى حاجة إلى نظام محكم يصون شملهم أن يتفرق ويجمع

وحدتهم أن تتبدد ولذلك يغلب فيهم اتباع النظام المحدود فى اللعب واختيار الألعاب التى تقوم على شكل ثابت وقواعد لا تتغير، وأما من جاوزوا العاشرة فالأغلب عندهم اللعب الحر الذى يسير على نظام عام مرسوم ولكنه يترك للأطفال مجالا واسعا للجرى والحركة والاختفاء والتنوع فى ضروب الألعاب.

ثانياً: النفور كمظـهر من مظاهر سوء التوافق الاجتماعى ويتضح فى المظاهر التالية:

١ ـ العناد:

العناد مظهر من مظاهر السلوك التى يظهر فيها الطفل مقاومة لسلطة الكبير وخاصة أمه. وهناك ثلاثة أنواع من المقاومة وهى الصمت، والاستجابات اللفظية، والاستجابات الحركية، ولقد لوحظ أن المقاومة الجسمية تقل بزيادة العمر بينما تزداد المقاومة اللفظية، كما لُوحظ أيضا أن الأطفال يقاومون الأطفال الأخرين أكثر مما يقاومون الكبار، ويحدث العناد فى المواقف الاجتماعية نتيجة استعمال نظام صارم وعدم الرضا عن السلوك الطبيعى للطفل من جانب الكبار وهو يتعلق بصفة عامة بالأعمال اليوميه حيث يرفض الطفل إطاعه طلبات الكبار فى أن يقوم بعمل ما فى وقت محدد.

والحق أن معظم الأطفال يظهرون هذا السلوك فى وقت ما من حياتهم وقد يبدأ بعضهم فى العناد فى السنه الأولى كما يحدث حين يرفض الصغير الرضاعة من ثدى أمه أو حينما يرفض استخدام الوعاء فى عملية الإخراج وحين يفقد شهيته، وقد يظهر العناد عند البعض الأخر حوالى سن السنة والنصف ولكن يمكننا أن نقول: إن أظهر ما يكون هذا السلوك عند البنات حوالى سن الثانية، وعند البنين فى سن الثالثه ثم تخف حدته تدريجيا بعد هذا السن فيعود الطفل فى حوالى الخامسة أو السادسة مطيعا وديعا، وإذا تساءلنا عن أساب العناد لوجدناها أسبابا متعددة نذكر منها ما يأتى:

*** رغبة الأم وشدة حرصها على حماية صغيرها مما يؤدى إلى تدخلها فى كل صغيرة وكبيرة فى حياته وتقييد حركاته ومنعه من الجرى واللعب مع زملائه أو**

أخوته خوفا من أن يؤذى نفسه، وتكثر من أوامرها ونواهيها فيضيق ذراعا بنصائحها وأوامرها.

* عدم نضوج الطفل وقصور معلوماته وعدم قدرته على التمييز بين ما يطلب منه وفهمه لقلة ما لديه من ذخيرة لغوية فيلجأ إلى كلمة « لا » للتخلص من موقف وجد نفسه فيه عاجزا عن أن يقوم بما يطلبه منه البالغون.

* شدة النظام فى الأسرة ووجود روتين قاس بالمنزل فتحاول الأم والبالغون المحيطون بالصغير تطبيق هذا النظام وإخضاعه له بطريقة لا تخلو من عنف وجمود فيُطلب منه الاستجابة لمطالب لا تتناسب مع سنه فى أى وقت دون مراعاة حاجته أو نوع النشاط الذى كان يقوم به وقت إعطاء الأمر.

* قد يكون العناد مجرد وسيلة لتعضيد ذاته ومظهرا من مظاهر استقلاله عن أمه بصفة خاصة وعن البالغين المحيطين به بصفة عامة أى أنه الخطوة الأولى فى التربية الاستقلاليه.

* وقد يكون العناد عادة تعلمها الصغير مما مر به من خبرات غير مواتية فى محيط الأسرة ولذلك فهو يعاند لمجرد العناد ولمجرد رغبته فى اجتذاب انتباه البالغين المحيطين به وفى هذه الحالة يكون ظاهرة لما يعانيه من توتر نفسى وسوء توافق بمحيط الأسرة التى ينتمى إليها.

٢ـ المنافسة:

يلاحظ أن الظروف المثيرة للتنافس تختلف باختلاف اتساع دائرة ميول الفرد أثناء انتقاله من الطفولة إلى الرشد، على أن رؤية الطفل لمنافسه الأول تحدث عادة فى البيت حيث يشعر بالغيرة مما يوجهه الأم أو الأب من اهتمام بغيره من الأطفال أو من اهتمام إحداهما بالآخر، ويستمر التنافس فى سنوات المدرسة الابتدائية ثم طيلة الحياة كلها، وينظر الطفل فى أول الأمر إلى الأطفال الآخرين على أنهم منافسين له ويهدفون إلى سلب ونهب ممتلكاته الخاصة وهذا يماثل اتجاهه الأول نحو أخوته وأخواته، وتؤكد الأبحاث والدراسات أن المنافسة لا تظهر فى السنة الثانية بل تبدأ فى السنة الثالثة وتبلغ ذروتها فى الخامسة ثم تتطور بعد ذلك من منافسة

فردية إلى منافسة جماعية، وتتصل من قريب بروح الانتماء إلى الجماعة والفريق وتبدو فى الألعاب الرياضية والتحصيل الدراسى، فهى بهذا المعنى مظهر من مظاهر التفاعل الاجتماعى السوى الذى يحفز الفرد من المنافسة المادية إلى المنافسة المعنوية.

٣ـ المشاجرة:

تبدو المشاجرة فى تخريب الطفل لألعاب رفيقة وفى اغتصابه لها وفى صراخه وبكائه ودفعه وجذبه وضربه وركله ورفسه وفى كل ما يدل على السلوك العدوانى، وتدل الأبحاث والدراسات على أن الأطفال سرعان ما يتشاجرون لأتفه الأسباب وسرعان ما يتحابون من جديد وكأن لم يكن فى الأمر شىء. وليس من الغريب أن تقوم المشاجرات العديدة بسبب أدوات اللعب؛ إذ أن مشاركة الآخرين للطفل فيها أمر لا يحتمله الطفل ولكن يبدأ الطفل تدريجيا فى إدراك فوائد التعاون الاجتماعى فى اللعب وفوائد اكتساب الأصدقاء ليعتمد عليهم فى الدفاع عن حقوقه لا ضد الأطفال الذين ينافسونه فحسب بل أيضا ضد طغيان الكبار. وتشير بعض الدراسات إلى أن السلوك العدوانى للطفل يبلغ ذروته فى سن الخامسة ويتغير قليلا خلال سن المدرسة الابتدائية حيث تتخذ التغييرات العدوانية مظاهر مختلفة مثل الضرب والمهاجمة والشتائم وتقل المشاجرات كلما ازداد سن الأطفال وتحدث المشاجرات بين الأطفال من نفس الجنس ولكن فى أعمار مختلفة، فتكثر المشاجرة بين الذكور والذكور وتقل نوعا ما بين الذكور والإناث وتقل إلى حد كبير بين الإناث والإناث، والطفل فى المشاجرة يضرب بيده ويركل برجليه ويمس الآخرين بما هو موجع ومؤلم، أما الطفلة فهى توعد وتهدد ولا تتجاوز حدود الهجاء والذم أى أنها لفظية المشاجرة تعتمد على قدرتها اللغوية النامية فى الإفصاح عن غضبها ومشاجرتها، ولقد لاحظ الباحثون أن معظم حالات السلوك العدوانى كانت بسبب الممتلكات الشخصية بمعنى أن الطفل المعتدى كان يحاول الحصول على أشياء تخص طفل آخر.

٤ـ المكايدة والتعذيب:

المكايدة والتعذيب صورة من الصور العدوانية الوثيقه الارتباط بالمشاجرة

وتتضمن المكايدة مناداة الآخرين بأسماء التدليل التى تثير غضبهم والتلميح بضعفهم الجسمى والعقلى، أما فى التعذيب فيحاول المعتدى أن يوقع الألم الجسمى على الآخرين؛ لأنه يجد لذة فى مراقبتهم وهم يتألمون ونجدهم هم بدورهم يحاولون الانتقام ويتضمن التعذيب شد الشعر أو الملابس والدفع والوخز بالدبابيس، ويشارك الأطفال الأكبر حجما أو سنا فى هذه الصورة العدوانية أكثر من الأطفال الصغار أو الضعفاء ويلاحظ أن البنين يعاكسون ويشاغبون أكثر من البنات كما يشارك الأطفال الذين يشعرون بالنقص أو عدم الطمأنينة فى صور العدوان أكثر مما يفعل الأطفال الذين ينتمون إلى طبقات اجتماعية أفضل. وفى محيط الأسرة نجد أن الأطفال الكبار يميلون إلى المكايدة والتعذيب أكثر من الأطفال الصغار، وقد يجنح هذا المظهر إلى ضروب لا تقرها الجماعة وذلك حينما يغالى الطفل فى المكايدة وفى تعذيبه للناس أو لنفسه، وقد تبقى معه هذه الرغبة بصورتها الشاذة طوال حياته عندما يفشل فى التوافق الاجتماعى السوى.

والخلاصة يمكن القول أن التوافق الاجتماعى للطفل يجعل منه عضواً صالحاً فى المجتمع الذى ينتمى إليه، كما أن الأسرة تعتبر أول مجتمع يصادف الطفل حيث تلعب الأم دوراً هاماً فى تشكيل سلوك الطفل وعاداته وإشباع حاجاته مما يؤدى إلى توافقه. كما أنه من أهم مظاهر التوافق الاجتماعى للطفل الألفة التى تتضح فى تعاون الطفل مع الآخرين ومكانته الاجتماعية وعطفه وحنوه وزعامته وصداقته وطريقة لعبه، أما مظاهر النفور فتتضح فى عناد الطفل ومنافسته لغيره ومشاجراته وعدوانيته.

توصيات للأم:

وإذا كان للأم الأثر الكبير على تكوين شخصية طفلها وعلى توافقه لذلك كان عليها أن تتفهم التوصيات التالية:

١ـ العلاقة الطيبة بين الأم والأب داخل نطاق الأسرة على جانب كبير من الأهمية فى توفير جو المودة والمحبة الملائمة للنمو النفسى السوى للأبناء ولذلك كان من الضرورى أن تعمل الأم بكل طاقاتها لتوفير هذا الجو إذا كانت تُريد أن

تصل بأطفالها إلى السلوك المقبول والتوافق السوى.

٢ـ العلاقة بين الأم والأب من جهة وطفلهما من جهة أخرى لها قيمتها فى الارتقاء بالصحة النفسية السليمة للطفل وتمتعه بالمحبة والألفة داخل نطاق الأسرة بدلاً من شعوره بالقسوة والإهمال. فالبيت الذى يظلله علاقات طيبة بين الطفل وأمه علاقات المحبة والألفة والتقدير هو بالضرورة البيت الذى يجد فيه الطفل أمنه وسكينته وينمو فيه نفسياً واجتماعياً.

ومن ثم كان من الضرورى أن تُشبع الأم حاجة الطفل إلى الحب والعطف وتبعد به عن الإهمال والقسوة وكثرة العقاب هذه الأساليب التى تفرضها الأمهات على الأبناء بدعوى أنها تخلق منهم رجالاً فى مستقبل حياتهم ويتناسين أنها تؤدى إلي اتجاه عكسى حين لاتُسفر إلا عن شيوع القلق والاضطراب فى حياة الطفل.

٣ـ الأمومة الرشيدة الحكيمة لا تقاس بتوفير الحاجات الضرورية للطفل بل تقاس بمقدار ما تمنحه الأم لطفلها من حب ورعاية وعلاقات طيبة تتسم بالمودة والمحبة. ومثل هذه المعاملة من جانب الأم لطفلها تُساعدها وبدرجة كبيرة على اطراد نموه النفسى وشعوره بالسعادة والرضا.

٤ـ على الأم أن تُقّر مبدأ الفروق الفردية بين الأبناء فى الأسرة الواحدة ولا تميز فى المعاملة بينهم نتيجة لتفوق أحدهم علمياً أو لأنه يشبه الأم فتميزه الأم، أو لأنه جميل الطلعة، أو لأنه الطفل الأكبر أو الطفل الأصغر، أو لأنه ولد وليس بنتاً. ومن ثم كان على الأم أن تتقبل طفلها كما هو بكل ما فيه من مزايا وعيوب لأننا لن نصنعه على هوانا. وتقبل الطفل يؤثر فى فكرته عن نفسه وثقته بها وتقبله لذاته وتقبله للآخرين وبالتالى شعوره بالتوافق مع نفسه ومع الكبار حوله.

٥ـ على الأم أن تعمل على أن يسود جو من الحرية والديمقراطية المنضبطة التى تُمكنّ كل فرد من أفراد الأسرة من التعبير عن نفسه وعن فكره وعن رأيه دون ما خوف من عقاب أو صد أو إهمال أو السخرية منه ومن آراءه. وبذلك

يكتسب الطفل ثقته بنفسه والقدرة على تحمل المسؤولية فتنمو شخصيته فى الاتجاه الصحيح.

٦- على الأم أن تعلم أن الاتصال النفسى الدائم بين الأمهات والأبناء أمر ضرورى وهام؛ إذ عن طريق هذا الاتصال يشعر الأبناء بمدى اهتمام الأمهات بهم ورعايتهم لهم. وهذا الاتصال النفسى من الأمور التى تُسفر عنها إشاعة الاستقرار النفسى والأمن والأمان فى حياة الطفل وتكسبه الراحة النفسية.

٧- لقد تأكد بما لايدع مجالاً للشك حاجة كل طفل إلى أم حانية تعتنى به وتلبى حاجاته حتى يكتسب الحب والتقبل والثقة منها بدلاً من العداء والرفض والإهمال، وحتى يشعر بالأمن والاستقرار متمثلاً فى رعاية أمه الرشيدة، وحتى يصبح الأطفال يوماً ما راشدين جديرين بتحمل المسؤولية والاعتماد على النفس والنظر إلى أنفسهم نظرة إيجابية فيصبحوا أفراداً منتجين لا مستهلكين يُساعدون فى بناء وتنمية المجتمع وتقدمه وازدهاره بما لديهم من توافق نفسى وصحة نفسية سوية.

وبعد فإن العديد من الدراسات والبحوث أوضحت بما لا يدع مجالاً للشك أن حرمان الطفل من أمه يجعله بليداً نافراً خمولاً، ومهما أعطى غذاءً كافياً ينقص وزنه وتذبل صحته ذلك لأن لمسة حنان وبسمة حب وهمسة عطف هى أجدى لتوافق نموه النفسى ولصحته البدنية من انفعالات الإحباط أو الحرمان التى تعوق تفتحه وتعرقل نموه، وهذا ما دفعنا إلى أن نوضح وبإسهاب أثر حرمان الطفل من أمه.

الطفل والحرمان من الأمومة(*):

معنى الأمومة:

يشير إلى أن كل أنثى لديها دافع غريزى نحو الأمومه، ولا ينطبق هذا تماما على الإنسان ففى الحقيقة أنه فى المجتمعات البدائية نجد الذكور هم الذين يقومون

(*) انظر: محمد بيومى حسن (١٩٨٠): حرمان الطفل من الأم، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الزقازيق.

بتربية الأطفال والأنثى هى التلد فقط ثم تعود إلى مجال عملها فى الحقول والصيد وغيرها وهذا هو دورها فى الأسرة. والأمومة ليست عملية سهلة بحيث يمكن أن نعدها وننظمها بجدول دقيق ولكنها علاقات إنسانية راقية ومعقده تغير من سلوك كل من الطفل وأمه، وكما أن توفير الأمومه الرشيدة للصغير تعنى أكثر من مجرد عدد الساعات التى يجب أن تقضيها الأم مع طفلها وإنما هى علاقة راقية يتمتع فيها كل منهما بصحبة الآخر، ونستطيع أن نلخص الأمومة الرشيدة فى أنها عاطفة وطريقة ومبدأ.

أ ـ فالأمومة الرشيدة عاطفة؛ لأن من أهم مقومات الأمومة الرشيدة توفير الحب للصغير فحاجة الصغير للحب لا تقل أهمية عن حاجته للطعام والشراب وحاجة الطفل إلى عطف ومحبة أمه على جانب كبير من الأهمية لاطراد نموه العضوى والنفسى معا وأن الكثير من مشكلات السلوك التى يبديها الطفل فى مستقبل حياته ترجع إلى حرمانه من الحب وهو لا يزال فى المهد.

ب ـ والأمومة الرشيدة طريقه؛ لأن عليها أن تشبع فى الطفل الحاجه إلى المحبة والأمن فى اعتدال دون تفريط أو إفراط حيث إن تفريط الأم فى حرمان ابنها من حبها يترتب عليه إضرار لا يستهان بها يعوق تكامل شخصيته وسلامة صحته النفسية. كما أن إفراط الأم فى حب طفلها وتدليله لا يقل خطرا على صحته النفسية من التفريط فى ذلك، فقد ثبت من دراسة كثير من حالات انحراف الأحداث التى تحول إلى العيادات النفسية أن بعض الأمهات وعلى الأخص من يشعرون بعدم الاستقرار والأمن النفسى وبالخوف والقلق يقبلن على أبنائهن بطريقة غير سليمة فيفرطن فى إرضائهم واجبه رغباتهم مهما كانت، وينشأ عن هذا النوع من تصرفات الأمومة صعوبات متعددة منها أنها تعود الطفل على أن يشب شخصا عديم الحيلة يعتمد على أمه بصفة خاصة وعلى البالغين المحيطين به بصفة عامة، ويتهرب من المسؤولية ويكون ضعيفاً فى نزعته الاستقلالية.

هذا وكثيرا ما يؤدى الإفراط فى المحبة وفى إجابة الصغير إلى ما يريد إلى أنانيته وتوقعه مزيد من الحقوق وقليل من الواجبات وهذا ما يعرقل توافقه للمجتمعخارج محيط الأسرة حيث يتطلب التوافق أخذاً وعطاء، كما يؤدى إلى تعاسته وعمق شعوره بالإحباط قبل أن يتعلم أن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ولقد

وُجد أن كثيرا من حالات الطفل الوحيد يرجع السبب الأساسى فى جنوحها إلى الإفراط فى المحبة.

جـ - والأمومة الرشيدة مبدأ؛ لأنها تتوقف على فهم الأم لطبيعة عملية النمو فتكون حساسة للأعراض التى توحى بتدخل عوامل غريبة تعوق الطفل على اتخاذ الطريق الطبيعى المعروف وتكون على بينه من الخطوط العريضة التى تتبعها فلا تكثر من التدخل فى شئونه تدخلا يجعله يضيق ذراعا بعالم الواقع ويتبرم مما تفرضه عليه من روتين وأوامر ونواه ويلجأ إلى العناد والمشاغبة أو الانطواء والعزلة، ولا تتعجله فى تعلم خبرة أو مهارة قبل ظهور استعداده لتعلمها، كما يحدث حين تتعجل بعض الأمهات نمو أبنائهن فيجبرون الصغير على الوقوف ومحاولة المشى قبل نمو عضلات الساقين وعظامهما فتتشوه استقامة هذه العظام. والأمومة كمبدأ يدفع الأم إلى قبول ابنها كما هو بمميزاته ونقائضه دون الشعور بخيبة الأمل؛ لأنه لم يحقق حلما راودها طوال حياتها أو لأنه لم يصل إلى المستوى الذى رسمته له قبل ولادته ولم تمكنه استعداداته من الاتجاه وجهه أرادها دفعا لشعور بنقص يكمن فى أعماق نفسها. والواقع أن الثقافة التى تعيش فيها الأم تؤثر تأثيرا كبيرا فى أسلوب الرعاية الأموية حيث نجد أن الأمهات اللاتى يعشن فى مستويات اقتصادية اجتماعية متباينة فى الولايات المتحدة الأمريكية قد أظهرن فروقا فى أساليب تربيتهن لأبنائهن فالأمهات اللاتى ينتمين إلى طبقات اجتماعية منخفضة يميلون إلى العقاب البدنى فى إحداث الطاعة فى السلوك الاجتماعى لابنائهن بينما تميل أمهات الطبقة المتوسطة إلى شرح السبب فى تربية أبنائهن أى إيضاح أسلوب المعاملة قبل العقاب وإعطاء البدائل أمام الأطفال ومن هنا تحدث الطاعة للنظم الأسرية، كما أن الأم تعطى الفرصة لطفلها لمناقشة أسباب رغبته فى عدم إطاعة هذه الأمور (الاقتناع)، كما أنهن يملن إلى استخدام الأساليب اللفظية لا العقاب أسلوبا فى تربية الأطفال، فقد تشير الأم أحيانا إلى طفلها الذى أتى سلوكا غير سوى وتهدده بسحب الحب والعطف منه.

والحق أن العلاقة بين الأم وابنها معقدة للغاية وتتوقف على عوامل متعددة بعضها يرجع إلى شخصية الأم واستعداداتها المزاجية وبعضها يرجع إلى التكوين النفسى للصغير، ولقد ثبت أن للطفل أثر على شخصية أمه فهو يستطيع أن يحدد

نوع الأمومة التى يتمتع بها. فالطفل الهادئ الطباع الذى ينام الساعات الطوال ولا يبكى كثيرا ويتناول غذاءه بسهوله ودون صعوبات تنعكس حالته على أمه فتكون هادئة سعيدة مستريحة جسميا ونفسيا متمتعة بأمومة سعيدة. أما الطفل كثير البكاء كثير السهر ليلا أو الذى تكثر مشكلاته المتعلقة بالتغذية والإخراج فهو طفل عصبى فى العادة تنعكس حالته على أمه فتبدو متعبة مرهقة الأعصاب وهكذا تختلف نوع الأمومة التى تقدمها لابنها على نوع الأمومة التى تقدمها الأولى، ومعنى ذلك أن الصغير هو الذى يشكل أمه على الصورة التى نراها بها وهذا يعنى أن العلاقة بين الطفل وأمه علاقة وثيقه يتأثر كل منهما بالآخر ويؤثر فيه، كما أن طبيعة التفاعل بين الأم والطفل فى السنوات المبكرة من عمر الطفل هامة للنمو الاجتماعى فى مراحل العمر التالية ومن ثم فإنه عندما تحرم الأسرة من أهم أركانها ومن جناحى عطفها وحنانها أى عندما تحرم من الأم فإن الأسرة تتصدع وذلك لحرمان الطفل من أمه سواء لوفاتها أو لطلاقها.

ويجتاز الأطفال بوجودهم داخل أسرة متصدعة تجربة أليمة نتيجة لما يعانونه من متاعب نفسية تؤثر على تنشئتهم الاجتماعية السليمة ومن ثم فإن الطفل فى هذه الأسرة يعانى صراعا داخليا نتيجة انهيار حياته الأسرية، ويعقد الطفل المقارنات المستمرة بين حياته والحياة الأسرية السوية التى يعيشها الأطفال الأخرون فينتابه الشعور بالمرارة واليأس والإحباط والحقد على الآخرين ويتحمل عبء التفكير الدائم فى مشكلاته والأحداث التى أدت إلى انفصال أمه عن أبيه مما يسبب له المزيد من القلق ومما يترتب عليه الأضرار البليغة فى حياته الاجتماعية والنفسية وإذا شهد الطفل شجاراً أو خلافا حادا بين أبيه وأمه فإنه يشعر بفقدان الأمن كما يحس بأن المنزل يوشك أن يتقوض فوق رأسه ففى أيام كأيامنا هذه التى أصبح فيها الانفصال والطلاق أمرين لا يحفل بهما المجتمع كثيرا فإننا نغفل الضحايا الحقيقيين لمثل هذه الأحداث، فعندما ينهار المنزل لا تسقط أنقاضه إلا على رؤوس الأطفال كما أن المنزل الذى يتسم بالتشاجر والتعارض والكراهيه قد يكون أسوأ للطفل من المنزل الذى يكون به أب واحد محب كما اتضح من دراسة على عينة من النساء المطلقات أن معظمهم يعتقدن أن حياة أطفالهم تكون أحسن فى حالة الطلاق عما كانت عليه فى حاله المشاجرات بين الأمهات والآباء أثناء الزواج.

وإذا كنا قد أفضنا فى إبراز أهمية الدور الذى تلعبه الأم فى حياة طفلها والعلاقات الوطيدة والحارة والحميمة بينهما، وآثار هذه العلاقة وأهميتها فى نمو شخصية الطفل وفى تطور سلوكه الاجتماعى فما ذلك إلا لتوضيح الخطورة الكبيرة لحرمان الطفل من وجود أمه ومن عطفها وكذلك تأكيد الآثار السيئة التى يتركها الحرمان من الأم على شخصية الطفل وتكوينه النفسى.

أبعاد الحرمان من الأم:

اتفق علماء النفس والأطباء النفسيون جميعا على اختلاف مدارسهم وآرائهم على تأكيد النتائج البالغة الضرر التى تلحق الطفل حين ينفصل عن أمه خلال السنوات الأولى من حياته فعندما يحرم الطفل من العلاقة الوثيقة الدائمة التى تربطه بأمه فإن ذلك يسمى «بالحرمان الأموى» فالأم لا تقدم لطفلها الغذاء والوقاية فقط بل تقدم معها بالضرورة المحبة والعطف والحنان وحرمان الطفل من كل ذلك غالبا ما يهدد كيانه بالخطر؛ لأن الحرمان العاطفى الذى يسميه جون بولبى الحرمان من الأمومة لايمكن للطفل أن يتغلب عليه أو يتحمله دون أن يصيبه ضرر بالغ وتختلف الآثار الضارة للحرمان فى درجتها بالنسبة لنوع الحرمان، جزئى أو تام.

أ ـ الحرمان الجزئى:

كأن يعيش الطفل مع أمه ولكنها لا تستطيع أن تمنحه الحب الذى يحتاج إليه وذلك نتيجة اشتغالها خارج المنزل أو لمرضها المزمن أو لعدم وجود الجو الأسرى السليم. فالحرمان الجزئى من الأم نتيجة لعملها خارج المنزل يهدد شعور أولادها بالأمن والطمأنينة فيرون الكثير من الأخطار الخارجية التى تثير مخاوفهم ويزداد ذلك كلما زادت ساعات تغيبها خارج المنزل، كما أن الحرمان الجزئى يؤدى إلى الشعور بالقلق والحاجة الشديدة إلى الحب ومشاعر العدوان القوية التى يصاحبها عادة الشعور بالذنب والاكتئاب. والحرمان الجزئى يصحبه القلق والحاجة الملحة إلى الحب والمشاعر القوية للانتقام، وينتج عن ذلك الشعور بالإثم والاكتئاب، والطفل الصغير الذى لم يكتمل بعد نضجه العقلى والانفعالى لا يستطيع أن يقاوم كل هذه الانفعالات والدوافع وقد يؤدى طرق استجابته لكل هذه الاضطرابات فى حياته الداخلية إلى أمراض عصبية.

ولابد أن تتوقع الأم تضايق طفلها عند عودتها إليه فعلى الرغم من أنه قد يحقق آمالها فيجيبها بحرارة واشتياق إلا أنه يجب الا تندهش إذا ما وجدته فاترا غير مبال بها لعدة ساعات أو يوم أو اثنين، بل يجب أن تتوقع أنه قد لا يتعرف عليها مما قد يعد صدمة هائلة لكبرياء الأم، وزيادة على ذلك فبعد أن يستجيب لها نلاحظ أنه قد يصبح شديد الغيرة والتعلق والإلحاح فى طلبها وإذا ما عولج قلقه هذا برفق وحنان فإن الأمور سوف تعود إلى مجراها الطبيعى أما إذا استمر قلقه فإنه يصبح مصدراً للاضطراب.

ب ـ الحرمان التام:

وفيه يكون الطفل محروماً من أمه نتيجة لوفاتها أو نتيجة لطلاقها ولذلك فإن تأثيره على نمو الطفل يكون أعمق وقد يعوق تماما قدرة الطفل على إقامة علاقات مع غيره من الناس.

فإذا كان حرمان الطفل من الأم نتيجة لوفاتها فقد يعيش الطفل مع والده فقط الذى لا يقبل الزواج فيما بعد، وقد يقبل ويتزوج وبذلك يقيم الطفل مع زوج أبيه وقد يبعد الطفل ويقيم مع أحد أقاربه. فعندما تموت الأم ولا يمضى على موتها وقت طويل فإن الطفل يستمر فى حاجته ورغبته فى الاتجاه نحوها مئات من المرات فى اليوم عندما يحتاج إلى معرفة أو عون أو توجيه أو استحسان أو سلوك أو توكيد، ويتجدد الجزع والألم كل مرة وهذا الإحساس بالفقدان أو الخسارة أو الحزن نسميه الشجن أو الحداد وهناك فرقا عجيبا بين الأطفال فى مدى وكيفية الشجن أو الحزن فثمه طفل وهو على الأرجح يكون بنتا تفقد متعتها فى مطالبها واهتماماتها المعتادة وتبدو حزينة وكئيبة وسرعان ما تنفجر باكية لأقل إثارة، وثمة طفل آخر قد يبدو فى الظاهر وهو يكاد يكون عديم التأثير لم يمسه فرح ونحن نعلم أن هذا المظهر السطحى لا يمثل انعداما حقيقيا أو نقصا فى المشاعر وإنما كل ما فى الأمر أن الطفل عنده شخصية مدربة قادرة على ضبطها والتحكم فيها وكظمها والإمساك عنها .

أما إذا كان الحرمان من الأم نتيجة لطلاقها فإن الطلاق دائما ما يكون بمثابة المأساة داخل الحياة الأسرية؛ لأنه يعنى بصفة عامة الثقة المفسدة والميثاق المتصدع

والتمزق الحاد داخل جدار الأسرة، فالطلاق يحدث بعد أن تكون الأسرة قد تفككت فعلا وحينما يكون أحد أو كلا الشريكين لديه رغبة قوية فى انحلال العلاقة الأسرية أى أن الطلاق لا يحدث فى أسرة سعيدة أو حسنة التكيف. وإذا كان الأطفال يتجهون بنظرتهم إلى آبائهم من أجل الحصول على العطف والأمن فإن التمزق المفاجئ لتلك العلاقة فى الجماعة الأولية يكون بمثابة صدمة للشخصية المتطورة للطفل الذى يعتمد على آبائه من أجل تكوين اتجاهاته وقيمه والألوان العاطفية التى تكون شخصيته، ولكنه حينما يكون أمنه العاطفى مضطربا وعلاقاته الأسرية مضطربة بسبب الطلاق فإن الطفل لن يعرف غالبا ما يدور فى عالمه فإن عالمه قد يتخبط حول ذاته، كما أن أمنه هذا قد يتبدد أيضا بسبب إعادة الزواج لأحد أو كلا الأبوين بعد الطلاق والمنزل الجديد نادرا ما يستطيع أن يحل محل المنزل القديم كما أن الأطفال يكونون كبارا بدرجة كافية تجعلهم يتعرفون على آباءهم وأزواج أمهاتهم وزوجات آبائهم حيث يكونون غرباء بالنسبة للطفل ويفتقدون القدرة على المحبة والتعاطف مع الطفل الذى تصدعت أسرته وفقد مظاهر التضامن الأسرى والإحساس بالانتماء إلى جماعة مستقرة وآباء يعتنون به ويحبهم ويحبونه دون مقابل.

وقد يقيم الطفل مع أى من والديه أو قد يقيم مع أقارب إحدى والديه، ومهما يكن من أمر فإن الطفل لا يدرى فى أى بيت يستقر وإلى أى أسرة ينتمى وخاصة أن قد تنشأ بين الأم والأب بعد الطلاق نزاعات مستمرة قد تصل إلى ساحة القضاء لرغبة كل من الوالدين فى حضانة الأطفال والإشراف على تربيتهم، وقد يودع الأطفال فى إحدى المؤسسات الإيوائية وتمثل هذه الحالات النسبة الكبرى بين أطفال المؤسسات.

والأطفال يريدون أن يكون عالمهم متماسكا لا شقاق فيه ولا تصدع ولا تمزق فهم ينزعجون عندما ينفصل الأبوان وهم يعرفون أنهم يريدون كلا الأبوين الأب والأم سواء بسواء وهم دائما إلا فيما ندر يحتجون ضد أى انفصال مالم يكن أحد الأبوين قد تجاوز الحد فى انتهاك الحرمات والإساءة والإهانة، والطفل يدرك أنه بضعة من كل منهما، نتاج كل منهما، عمل كل منهما، مؤلف من كل منهما

جسميا ونفسيا وهو يدرك أن هذا الانفصام قد يفقده أحد الأبوين على الأقل كليا وإلى الأبد وأسوأ ما فى الطلاق هو الوضع الذى يتعمد فيه أحد الأبوين حرمان الآخر من رؤية الطفل وإبعاده عنه لا على سبيل الإيثار والمحبة ولكن لمجرد حرمان وإيذاء الآخر وإيغار صدره والتشفى فيه والضحية دائما هى الطفل البرىء الذى فقد الأمن والطمأنينة وأصبح عليه أن يعيش قلقا فى عالم مجرد من حماية ورعاية الوالدين اللذين تعلم حبهما والثقة فيهما واللذين اعتمد على حنانهما المستمر.

أثر حرمان الطفل من الأم:

أ ـ أثر الحرمان على نمو شخصية الطفل:

من المعروف أن نمو الشخصية نتاج للتفاعل بين الكائن العضوى النامى والكائنات الإنسانية الأخرى وبشكل ما يحقق الفرد ذلك وبهذا ينشأ مشابها بيئته الاجتماعية المحيطة به على الرغم من أنه يحتفظ بذاته فهو لا يكون أبدا مثل أى نتاج آخر للمجتمع وسير هذه العملية من تشابه الفرد مع بيئته يختل بشدة نتيجه للحرمان من الأم فى مراحل الطفولة المختلفة وإختناق نمو شخصية الطفل المحروم يمكن فهمه بسهولة إذا ما علمنا أن الام هى التى تكون بمثابة شخص الطفل وضميره فى أول سنى حياته، فهى التى ترتب له أين سيكون ومتى ينام وتمده بكل شىء وتسمح له بأن يؤدى بعض الأشياء وتمنعه من أمور أخرى فهى اذن شخصه وضميره وبالتدريج يتعلم الطفل هذه الفنون بنفسه وعندئذ تترك له الأم القيام بهذه الأدوار ولاتنتهى تماما حتى يبلغ النضج، ولكن نمو ذات الطفل وضميره يمكن أن يتم وبشكل مرضى فقط عندما تكون أولى علاقاته الإنسانية مع أمه دائمة وسعيده ولا يمر الطفل المحروم من الأم بمثل هذه الخبرة ولذلك لا تكون لديه الفرصة على الإطلاق لتكملة أولى مراحله من النمو وهى إقامة علاقة بصورة معروفة واضحة مع الأم وكل خبرة الطفل المحروم اكتسبها من الأم البديلة التى قد تتغير وتتبدل فلا يدرى الطفل فى أى درب يسير ولا أى سلوك يختار ولا أى شخصية يتقمص فينشأ عن ذلك اضطرابات واسعة النطاق فى نموه وبالتالى على جوهر شخصيته وتبين الملاحظات التى تمت على الأطفال الذين خبروا حرمانا شديدا أن شخصياتهم وضمائرهم لم تتم، فسلوكهم اندفاعى وغير متحكم فيه وهم يعجزون عن تتبع

أهداف بعيدة لأنهم يكونون ضحايا النزوات الوقتية، فجميع رغباتهم تنشأ بدرجة متساوية وتعامل بدون تمييز ولا تكون لديهم القدرة على مراجعة أنفسهم ولا يستطيعون دون مساعدة غيرهم أن يشقوا طريقهم فى الحياة بنجاح، وعلى ذلك فهى شخصيات غير فعالة عاجزة عن الاستفادة من الخبرة وهذا العجز هو أسوأ عيوبهم.

ولقد دلت الدراسات على أن الأطفال المحرومين من أمهاتهم يميلون إلى الانفعال ولا يتقبلون الحب من أحد ولا يحبون إلا أنفسهم وليس عندهم قدرة على تكوين علاقات اجتماعية، كما يتصفون بصفات تدل على شعور عميق بعدم الاطمئنان فهم كثيرو الحركة وتعوزهم القدرة على التركيز.

كما أن بعض العلماء يرون أن عدم كفاية الحب والعطف وحرمان الطفل منها يؤدى إلى وجود حالة عدم استقرار وقلق لدى الطفل تدفعه باستمرار إلى ارتكاب الجريمة، وإن كانت الظروف الخاصة بالطفل المحروم من عطف الأم تجعله أكثر استعدادا لارتكاب الجريمة.

من هذا نرى أن للحرمان من الأم الدور الهام فى خلق حالة عدم الاتزان الوجدانى لدى الطفل وأن الطفل المحروم حين يحاول الإفلات من هذه الحالة لا يجد أمامه إلا طريقين إما الجناح أو العصاب طبقا لما تقضى به حوافزه أو قوى القمع عنده.

ب ـ أثر الحرمان على النمو الجسمى والعقلى والاجتماعى للطفل:

للحرمان من الأم آثار سيئة على النمو الجسمى والعقلى والاجتماعى وهذا الرأى مستمد من دراسات متعددة قام بها الباحثون فى مختلف البلدان ووصلوا فيها إلى نتائج متشابهه أو قريبة دون أن يعرف أحدهم شيئا عما يقوم به غيره مما يشير إلى سلامة نتائجهم، ولقد أوضحت الدراسات المباشرة أنه عند الحرمان من الأم يتأخر دائما نمو الطفل الجسمى والعقلى والاجتماعى وقد تبدو عليه الأمراض الجسمية والعقلية وأن بعض الأطفال يتعرضون للضرر البالغ مدى الحياة، تلك نتيجة مؤسفة ولكنها ثابتة ومؤكدة ولقد لفتت الناحية الجسمية نظر الباحثين إلى الفرق الكبير بين الأطفال المحرومين من أمهاتهم ويعيشون فى ملاجئ وأطفال

يعيشون مع أمهاتهم فى أسر طبيعية، فقد كانت نسبة الوفيات فى الأطفال المحرومين عالية حتى وصلت إلى ٨٠٪ أو أكثر وكان ينتشر بينهم مرض الهزال وهو مرض يذبل فيه الطفل ويضعف وتقل مقاوته حتى يصير عرضه لأى مرض يلم به ويودى بحياته، كما أن السبب فى تقهقر النسبة النضجية للأطفال المحرومين من أمهاتهم هو ما يشعرون به من جوع عاطفى بسبب حرمانهم من عطف الأم وتبادل الحب معها.

كذلك لوحظ أن غياب الأم يحرم الطفل من التعلم والتدريب فيتأخر نمو قدراته العقلية ويتأخر نموه الكلامى ومن ناحية أخرى فإن الطفل الذى حرم من التفاعل الاجتماعى يكون منزويا غير عابئ بما يجرى حوله فإذا ما اجتمع هذا الفقر فى العلاقات الاجتماعية مع الفقر فى اللعب والأشياء التى يمكن أن يتداولها الطفل أدى كل ذلك إلى تأخر واضح فى نمو الطفل العقلى، وقد أيد هذا الرأى إحدى الدراسات عندما وجدت أن الأطفال المحرومين يعانون من تأخر يتراوح بين ٢٠ ـ ٣٠ درجة ذكاءاً عندما يحرمون من الأم ومن الأسرة الطبيعية لمدة ثلاث سنوات. كما أوضحت دراسة أخرى أن الحرمان من العطف والحب فى وقت الطفولة قد يؤدى إلى آثار لاتحمد عقباها؛ إذ يتأخر الصغار فى الأداء العقلى تأخرا تستمر آثاره باقية حتى إذا تغيرت ظروفهم إلى أحسن. وتذكر إحدى الباحثات أنها كانت دائما تجد الأطفال ذو المشاكل النفسية هم الذين عانوا حرماناً عاطفيا كبيرا فى طفولتهم المبكرة. وقد اتفق علماء النفس والأطباء النفسيون جميعا على اختلاف مدارسهم وآرائهم على تأكيد النتائج البالغة الضرر التى تلحق بالطفل حين ينفصل عن أمه خلال السنوات الخمس الأولى من حياته لأن انفصاله عن الشخص الذى يوفر له الأمن والحب يؤدى إلى أن يتعرض لدوامة من الألم لا يستطيع التعبير عنها. وتختلف النتائج الخطيرة والآثار السيئة التى تحدث لصغار الأطفال من حرمانهم لأمهاتهم تبعا لسن الطفل وقت حدوث الحرمان.

الحرمان وعمر الطفل:

هناك اتفاق فى الرأى بين الأخصائيين فى نمو الأطفال وصحتهم النفسية على أن السنوات الثلاث الأولى هى أخطر مراحل النمو تأثرا بالحرمان الناتج عن فراق

الأم للطفل أو بعدها الطويل عنه لأى سبب من الأسباب. فمنذ سن أسابيع قليلة تبدو الآثار السيئة للحرمان من الأم على كثير من الأطفال ويبدو ذلك فى الطفل المحروم لا يتسم فى وجه إنسانى وفى عدم استجابته للمداعبة وقد تكون شهيته للطعام ضعيفة وقد لا يزداد وزنه على الرغم من تغذيته الجيدة، وقد لا ينام جيدا ولا يبدى أى مبادأة كما لوحظ أن الأطفال المحرومين من أمهاتهم حتى سن ٦ شهور كانوا دائما أقل فى قدرتهم الصوتية عن أمثالهم من الأطفال غير المحرومين وهذا التأخر فى الكلام يميز الطفل المحروم على وجه الخصوص فى جميع الأعمال كما لوحظ تأخر النمو الجسمى والعقلى بوضوح خلال الأسابيع القليلة الأولى من حياة الطفل.

أما إذا كان عمر الطفل من ٦ إلى ١٢ شهر فإنه يكون غير مستقر، خاملا غير سعيد لا يستجيب للابتسامة أو المداعبة وهذه الحالة بلا شك صورة من الاكتئاب تحمل كثيرا من العلامات التى يتصف بها شخص بالغ مريض بالاكتئاب فى مستشفى الأمراض العقلية فتتسم النزعة الانفعالية بالحزن وتوقع السوء، ويسحب الطفل نفسه من كل ما هو محيط به ولا يحاول أن يتصل بشخص غريب كما أن أوجه نشاطه يشوبها الخمول ويغلب عليه قلة النوم وضعف الشهية فيقل وزنه ويصبح أكثر قابلية للعدوى ويهبط نموه العام هبوطا شديدا. ولقد وجد أن أطفالا كانت أعمارهم من ٦ إلى ٨ شهور عندما حرموا من أمهاتهم بعد تكوين علاقة دائمة مركزة بينهم وبين أطفالهم كان للحرمان ردود أفعال قاسية.

أما إذا كان عمر الطفل من ٢ ـ ٣ سنوات فإن الطفل يصبح شديد الحزن لا يتقبل العزاء لعدة أيام أو أسابيع وخلال كثير من هذا الوقت يكون فى حالة من اليأس والقلق يبكى ويتأوه ويرفض الطعام والراحة، والإجهاد فقط هو الذى يجلب إليه النوم، وبعد عدة أيام يصبح أكثر هدوءاً وقد ينتكس إلى حالة من التبلد ويخرج منها ببطء ليصبح أكثر اهتماما ببيئته الغريبة، ولكنه قد يبدى لعدة أسابيع أو حتى أشهر عودة إلى سلوك الطفل الرضيع يتبول فى فراشه ويكف عن التكلم ويصر على أن يُحمل، كما أن الاستجابة الانفعالية لا تصبح شديدة فحسب بل إن الأمهات البديلات يقابلن غالبا بالرفض تماماً ومن الملاحظ أن

الأطفال الذين كانوا على علاقة حميمة وسعيدة للغاية بأمهاتهم هم الذين يقاسون أكثر عند الحرمان.

أما عندما يزيد عمر الطفل عن ثلاث سنوات حيث يظل أثر الحرمان من الأم خطيرا إلا أنه يكون أقل أثر مما لو حدث قبل ذلك، حيث نجد الطفل فى هذه السن لديه القدرة على الكلام تسمح بالتعبير البسيط وبهذا يصبح الطفل أكثر استعداداً لتفهم بديلات الأم والمعاملة الحكيمة القائمة على الفهم فى هذه السن يمكن أن تقلل الآثار الضارة إلى حد بعيد. فالملاحظ أنه فى السنة الرابعة وما يليها يبدأ الطفل فى الشعور بوجود الآخرين ويتعرف عليهم ويكون علاقات معم وبخاصة مع أبيه وأخوته وبعد سن الخامسة يقل الخطر كثيرا على الرغم من أن نسبة لا بأس بها من الأطفال فيما بعد الخامسة يعجزون عن التكيف الصحيح نحو الحرمان وخاصة إذا كان مفاجئا ودون ما استعداد، من ذلك نتبين أن أثر الحرمان من الأم يعتمد اعتمادا كبيرا على السن الذى يفقد فيه الطفل رعاية أمه وحنانها.

خلاصة وتعليق:

إنه فى عرضنا السابق أوضحنا الدور الهام الدى تلعبه الأسرة الطبيعية فى حياة الطفل النفسية والاجتماعية والعلاقة الحمية الدائمة بين الطفل وأمه وأثرها فى نمو شخصية الطفل وما يمكن أن يؤدى إليه الحرمان من الأم إلى تأخر نمو الطفل فى نواحى نموه المختلفة وفى توافقه وما ذلك إلا لأن:

١ـ الأسرة هى الخلية الأولى التى يتكون منها جسم المجتمع البشرى إذا صلحت صلح الجسم كله.

٢ـ للأسرة الدور الهام فى تربية الطفل وتنشئته وتشكيل شخصيته وبقدر صلاح هذا الدور الذى تقوم به تصلح شخصية الطفل ويصلح نموه وبقدر اضطراب هذا الدور تضطرب شخصيته.

٣ـ تربية الطفل داخل نطاق الأسرة الطبيعية هى المفتاح إلى نجاحه فى الحياة.

٤ـ للعلاقة بين الأم والأب أهمية خاصة فى تكوين الأبناء فتعاونهما واتفاقهما والاحتفاظ بكيان الأسرة يخلق جوا هادئا ينشأ فيه الطفل نشوءًا متزنا، وهذا

الاتزان العائلى يترتب عليه غالبا إعطاء الطفل ثقة فى نفسه وفى العالم الذى يتعامل معه بعد ذلك.

٥ ـ ليست مهمة الأم توفير المأكل والملبس والمأوى إلى أطفالها فقط بل عليها أن توفر لهم المحبة والعطف الذى يشبع حاجتهم إلى الشعور بالأمن والاستقرار النفسى ويجنبهم الخوف والقلق.

٦ ـ الحرمان من الأم الذى يتعرض له الطفل يكون له آثار خطيرة على نموه الجسمى والعقلى والاجتماعى وخاصة إذا وقع الحرمان فى السنوات الأولى من عمر الطفل.

٧ ـ الآثار السيئة الناتجة عن الحرمان من الأم يعتمد على كثير من المتغيرات من بينها شخصية الطفل وعمره وقت الحرمان، وطول فترة الحرمان وعلاقة الطفل بأمه قبل الحرمان.

٨ ـ الطفل المحروم من الأم لا يستطيع أن يحيا فى رضا وسعادة الأمر الذى قد يعرضه فيما بعد للجناح أو يكون سببًا فى سوء توافقه.

وبعد.. يمكن القول بأن الحرمان من الأمومة له آثاره المدمرة على الأطفال المحرومين البنين والبنات سواء بسواء. فالحرمان من الأم يحرم الأطفال من إشباع حاجاتهم العضوية والنفسية ورعايتهم الرعاية الكاملة. وإذا لم تُشبع هذه الحاجات أدى ذلك إلى سوء توافقهم، كما أن الحرمان من الأم يصيب عادة الأطفال بالاكتئاب والفشل فى التوافق الاجتماعى الذى يؤدى إلى شخصية انسحابية هروبية منطوية وقد يُودى إلى الانحراف وسوء التوافق للبنين والبنات سواء بسواء، كما أن الحرمان من الأمومة يعطل فى الأطفال نموهم فى النواحى الجسمية والعقلية والاجتماعية بل يكاد يوجد شبه اجتماع بين الدراسات المختلفة على أن مستويات النمو المختلفة تهبط إلى درجة كبيرة ويحدث هذا للأطفال المحرومين بنين وبنات سواء بسواء. كما أن الحرمان من الأمومة يترك فى الأطفال طابعا مميزا فى شخصياتهم فيبدو على هؤلاء الأطفال الانطواء والعزلة الانفصالية بل إنهم يعجزون عن إقامة علاقات الحب والعطف مع غيرهم من الأطفال مما يؤثر على توافقهم الاجتماعى البنين والبنات سواء بسواء، ومن الآثار السيئة للحرمان من

الأمومة أن يجعل الأطفال لا يستشعرون حرارة الاتحاد والتوحد مع الأم ويبدو هذا واضحًا فيما بعد فى استجاباتهم العدوانية والمعارضة وفى ظمئهم الشديد للعطف والحنو وربما ميلهم الشديد إلى السيطرة وهذا يحدث للأطفال المحرومين من عطف الأم البنين والبنات سواء بسواء كما أنه من آثار الحرمان من الأمومة عدم كفاية العطف والحب والحرمان منهما مما يؤدى إلى حالة عدم استقرار وقلق زائد يؤدى بالتالى إلى سوء توافق الأطفال المحرومين - البنين والبنات - سواء بسواء. والأطفال المحرومين يكونون أكثر ارتباطا فى الغالب بأمهاتهم أكثر من ارتباطهم بآبائهم ففى الزيجات غير السعيدة التى يحدث فيها انفصال نجد أنه توجد رغبة قوية لدى البنين والبنات فى التوحد مع أمهاتهم أكثر من آبائهم وذلك بسبب صلة الأم الوطيدة بأبنائها، وحرمان الأطفال من هذه الصلات الأموية الوظيفية يؤدى إلى اضطراب شخصياتهم وإلى خلق حالة عدم اتزن وجدانى لديهم مما يؤثر بالتالى على توافقهم الشخصى والاجتماعى للبنين والبنات سواء بسواء.

ولقد أوضحت إحدى الدراسات أن توافق الأطفال المحرومين من الأم بالانفصال أقل منه فى حالة الأطفال المحرومين بالوفاة ويعود ذلك إلى أن وجود النزاع الظاهر بين الأبوين والخلافات الحادة التى تسبق الانفصال لا تكون خافية على الأطفال مما يسبب لهم اضطرابا عنيفا وتمزقا فى حياة الأطفال الداخلية كل ذلك من شأنه أن يعوقهم على النمو والتفاعل الاجتماعى السليم داخل نطاق الأسرة؛ لأنهم فقدوا الثقة والحب والشعور بالأمن والطمأنينة التى تعتبر النواة الأولى لبناء الشخصية الناضجة المتوافقة ولعل من أقوى المؤثرات وأوثقها ارتباطا بنمو شخصية الطفل المتوافقة تلك التى تحيط به فى أسرته وتتمثل فى علاقاته بأبويه وأخوته فإذا كان الآباء غير راضين عن حياتهم الزوجية فإنهم بالتالى يكونون غير قادرين على تعليم أبنائهم حسن التوافق ولقد ثبت أن غالبية المطرودين من المدرسة بسبب سوء التوافق كانوا من بين أبناء الأسر المفككة. كما اتضح أن الأطفال الذين انفصل آباؤهم بالطلاق قد ظهر لديهم ميل شديد للغضب ورغبه فى الانطواء كما كانوا أقل حساسية للقبول الاجتماعى وأقل قدرة على ضبط النفس وأكثر ضيقا مما تسبب فى سوء توافقهم. كما أثبتت الأبحاث أن الذين عانوا من الحرمان نتيجة للانفصال كانوا أكثر بعدًا عن السلوك السوى وكان يبدو عليهم

أنهم يعانون كثيرا من الصعوبات النفسية والسلوك العصابى، ذلك لأن كل طفل يريد أن يكون عالمه متماسكًا لا تشقق فيه ولا تصدع ولا تمزق ويحتاج إلى أن يذكر مرارا وتكرارا أنه سوف يستمر ذا أبوين وأنه سيظل قرة عينهما ويحظى بحبهما معا، وعندما يحس الطفل أن أبويه كانا زوجين فى ظروف غيره سعيدة فإن سعادته تبدو مرتبطة بطريقة وطيدة بالسعادة الزوجية لأبوية وانفصالهما بالطلاق يزيد إحساسه بعدم الأمن وفقد الحب والعطف فيحس أنه غير محبوب وغير آمن وغير سعيد وينتج عن حرمان الطفل من أمه نتيجة لانفصالها عن أبيه بالطلاق عدة مشكلات تسبب له سوء التوافق، ومن هذه المشكلات مشكلة الرعاية فالطفل يعيش فى جماعة أسرية غير متكاملة إلى أن يعيد الأب زواجه بزوجة أخرى تكون لديه أنماط دورها الخاصة بها والتى تحاول غرسها فى الطفل سواء شاء أم لم يشأ مما يسبب له الضيق والقلق وسوء التوافق. كما يصطدم الطفل المحروم بمشكلة الولاء عندما يشعر الطفل ويكتشف وهو مازال فى حياته المبكرة أن أبويه من ذوى التفكير الضيق وأن كلا منهما يحاول أن يبقيه بعيدا عن الآخر وأنه وسط هذا الشد والجذب يفقد أمنه وتوافقه كما تواجه الطفل المحروم مشكلة توافقه مع الجماعة، فالأطفال عندما يكوّنون جماعة اللعب يكُونون متماثلين وأن أى انحراف أو عدم استواء لأى منهم يُنظر إليه من جانبهم بنظرة شك، والطفل الذى حُرم من الأم ويعيش مع أبيه فقط أو مع زوجة أبيه يكون منبوذا فى وسط أصدقاء لعبه حيث ينظر إليه على أنه محروم من التقدير والعطف والإرشاد، وعليه فإن دوره فى الجماعة قد يتغير ومركزة مع أصدقائه قد يتزعزع مما يسبب له سوء التوافق.

أما فى حالة الوفاة والفقدان فإن موت الأم فى حد ذاته يعتبر تصدع فى جدار الأسرة؛ إذ أنه ـ وتحت كل الظروف يؤدى إلى عدم تكاملها وحرمان الطفل من أمه والظروف المحيطة به وتدليل بعض البالغين له فى كثير من الأحيان وفقد الرقابة والتوجيه كثيرا ما يؤدى إلى اكتساب الطفل لبعض السمات التى لا تساعد على توافقه، والتشابه الرئيسى بين الحرمان نتيجة للانفصال بالطلاق وبين الحرمان نتيجة لوفاة الأم يتصل بالحقيقة الاجتماعية الأساسية وهى أن مجموعة من علاقات الأسر تكون قد تمزقت وتتطلب شوطا طويلا لعملية توافق الطفل للوضع الجديد المترتب على حرمانه من أمه.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
تمهيد	٥
الفصل الأول: المرأة العاملة والطفل	٧
ـ مقدمة	٩
ـ الاتجاهات حول عمل المرأة	٩
أولا: الاتجاه الرافض لعمل المرأة	٩
أسباب رفض هذا الاتجاه	١٢
ثانيا: الاتجاه المؤيد لعمل المرأة	١٤
أسباب تأييد عمل المرأة	١٥
بعض الشروط لتأييد عمل المرأة	١٦
ـ الدين وعمل المرأة	١٨
ـ الخلاصة	٢٢
ـ المرأة العاملة والطفل	٢٤
سلوك الانفصال اليومى بين المرأة العاملة والطفل	٢٤
الفصل الثانى: المرأة والحمل	٣٧
ـ مقدمة	٣٩
ـ الحمل الأول	٤٠
العوامل المسببة لقلق الحمل	٤١
أولا: عوامل مرتبطة بالماضى	٤١
ثانيا: عوامل مرتبطة بفترات الحمل	٤٣
أ ـ الأعراض الجسمية	٤٣
ب ـ التوافق بين الزوجين	٤٦
جـ ـ الخوف من عملية الولادة	٤٧

الموضوع	الصفحة

د ـ عمر الحامل ٤٨
ـ تفسير الحالة النفسية للزوجة أثناء الحمل ٤٩
أهم مسببات القلق لدى الزوجة الحامل ٥٣
أ ـ مسؤولية رعاية الطفل ٥٣
ب ـ الخوف من عيوب فى المولود ٥٦
جـ ـ الخوف من عملية الولادة ٥٨
ـ توصيات للزوجة الحامل ٥٩
أولا: الرعاية قبل الزواج ٦٠
ثانيا: الرعاية أثناء الحمل ٦١
ـ دور الدولة فى رعاية الحامل ٦٦
الفصل الثالث: الأم والطفل ٦٩
ـ مقدمة ٧١
ـ الأسرة والطفل ٧١
ـ العلاقة بين الأم والأب ٧٤
ـ علاقة الأم بالطفل ٧٥
ـ أساليب معاملة الأم للطفل ٧٨
ـ الطفل المتوافق اجتماعيا ٨٥
ـ مظاهر التوافق الاجتماعى للطفل ٨٨
ـ مظاهر سوء التوافق الاجتماعى للطفل ٩٠
ـ توصيات للأم ٩٣
ـ الطفل والحرمان من الأمومة ٩٥
معنى الأمومة ٩٥
أبعاد الحرمان من الأمومة ٩٩
أثر الحرمان من الأم على الطفل ١٠٢
* أثر الحرمان على نمو شخصية الطفل ١٠٢

الموضوع	الصفحة
* أثر الحرمان على النمو الجسمي والعقلي والاجتماعي للطفل	١٠٣
- الحرمان وعمر الطفل	٦١٠٤
- خلاصة وتعليق	١٠٦
الفهرس	١١٠